

سلسلة دراسات في التفسير الموضوعي
مهارة الإدارة

ميزان القوى والقيم

في ضوء سورتي القصص وهود

(دراسة إرشادية)

جمع وتأليف

د. أحمد عمر النعمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، شرع للإنسان ما يصلح حاله في الدنيا والدين، وضبط علاقة الناس مع بعضهم ومع الأمم الأخرى بضوابط متينة لتحقيق الأمنين السياسي والاقتصادي، فذكر منته على عباده المؤمنين في تحقيق الأمنين السياسي والاقتصادي فقال تعالى: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ)، قریش: ۳-۴. ومكّن لمن أقام العدالة، وحكم الناس وفق الأخلاق الفاضلة والسلوكيات الحميدة، فجعلهم خير الأمم، في كل عصر ومصر، ومع كل رسول ورسالة. كما حذر من الظلم والطغيان في سياسة الناس، مما يستجلب الهلكة في العباد والبلاد، كما فعل في فرعون وملئه، وقارون وملئه، فهما نموذجان لحكم الناس بالاستضعاف والاستكبار، مقابل الرسل والمصلحين الذين كانوا يحملون القيم الأخلاقية، وتخليص الناس من الاستعباد والظلم الذي ساد وماد. وفي سورة القصص تتجلى مواقف القوى والقيم بكل تفصيلاتها.

كما سنقف على سورة هود ونذكر أهم موضوع تعالجه هذه السورة ألا وهو الفساد الاجتماعي، وتفتيت نسيجه، وإيجاد الاضطراب وزرع الخوف والرعب في نفوس المجتمع. وفي السورة نقف أيضاً على الفساد الاجتماعي الذي قام على الهلع والخوف وعدم الاستقرار في مجتمع مدين

الذي كان يسوده الاضطراب نتيجة قطع الطريق والاستيلاء على ممتلكات الناس، بالإضافة إلى السرقة العلنية، مقابل دعوة نبي الله شعيب عليه السلام الذي أرسله الله تعالى لقوم مدين لبقم فيهم العدل، وينشر الأمن والاستقرار، وهذا ما سأذكر تفضيله في بسط الموضوع من هذه الدراسة.

والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ، قص الله عليه قصة من استعلى واستكبر وطغى وتجبر.

وأيضاً في هذه الدراسة أستعرض الآيات التي تتحدث عن قوى الشر لدى المشركين مقابل القيم الخلقية التي جاء الإسلام ليطمئنها ويقيم العدل والسلام في المجتمع المكي.

وما قصة فرعون وقارون وقوم مدين إلا لأخذ العبر والعظات منهم وكيف أهلكتهم الله نتيجة ظلمهم.

وفي هذه السورة تتجلى قصة من احتمى بقوة الله تعالى والتزم قيمة الإيمان بالله حيث تدخلت قدرة الله تعالى، ووضعت للفساد السياسي والمالي حداً بعدما عجز المؤمنون عن الوقوف أمام الجبارة الطغاة، إذ الصراع بين الحق والباطل باق إلى يوم القيامة، فكان من الطبيعي أن يجد النبي ﷺ عقبات في طريق دعوته من قبل المشركين والمنافقين واليهود على حدٍ سواء. وكانوا في حرب كلامية وميدانية مع الرسول ﷺ بعد أن كانوا ينتظرون نبي

يبعث كما أخبرهم بذلك أهل الكتاب، فقد أخذوا أخبار قرب قدومه، ولكن الزعامة وحب الجاه والاستعلاء أبت إلا أن تكون في صفِّ أعداء الرسول والرسالة، وهذا حال كل نبي مع قومه، فقد خلق الله الإنسان في كبد، وكلفه ليختبر إيمانه وطاعته له، وجعل كل من اهتدى بهديه وطبق تعاليمه سعيداً في الدنيا، عزيزاً كريماً يحترمه الصديق، ويهابه العدو، كما جعل من يتجبر على عباد الله ويطغى في خزي وذلة ومآله الدمار والبوار. ففي سورة القصص، قصة فرعون مع موسى وهذا (يمثل الاستبداد والفساد السياسي)، وقصة قارون مع قومه وهذا (يمثل الاستبداد والفساد المالي). وفي موقف نبي الله شعيب مع قوم مدين يمثل (الفساد الاجتماعي). وتسوق السورة قصة الاستعباد التي مارسها فرعون مع بني إسرائيل، وقارون مع قومه، وكيف نجى الله الفئة المؤمنة التي قاومت الشر وتصدت للبغي.

وهذا يسوقنا للحديث عن الطغيان في الواقع المعاصر الذي تغيرت أدواته، واستحدثت أساليبه في محاربة الدين الحق، وصارت المرأة سلعة لانتشار الزنا والخنا والفحش، بالإضافة إلى شيوع الرذائل الأخلاقية، هذا الوباء الذي يكلف الأمة ويستنزفها في السياسة والاقتصاد، ويصيبها في عفتها وكرامتها، لأن الأمور كلها مترابطة مع بعضها ولا تنفك. إذ الناس

محتاجون أن يعيشوا حرية تمكنهم من نيل حقوقهم، وفي المقابل تطالبهم بأداء واجبهم، مع المحافظة على الضوابط الأخلاقية، وتحقيق مقاصد الشريعة من حفظ الدين، والعقل، والنسل، والمال، والنفس، وعندما يكون الحكم استعباداً واستنزافاً وسطواً وفساداً، فإن البلاء واقع لا محالة يأتي على الأخضر واليابس، ويصيب الأمة بمقتل، في زمن لم يعد للدول والأمم دين ولا إنسانية، والكل كشر عن أنياب الغدر والمكيدة جهاراً نهاراً لا رادع يردعهم، ولا قوة تقف بوجههم.

لهذا كله توجب الوعي ودراسة الواقع المعاش، ولا يكفي دراسة الواقع الذهني والتنظيري الذي يزيد من تدهور الأمة الإسلامية التي لديها القوة الكامنة والتي إذا استخدمتها، علا شأنها وهابها عدوها، لأن العدو ظالم، والظلم مرتعه وخيم، لذا فهو ضعيف، خائر القوى، معذب الضمير، يصيح بالويل لما آل إليه حال الإنسان لديه، لكن المنافقين ومتبعي الشهوات من أصحاب القرار في أمة الإسلام هي التي تطيل من عمره، وتحسن صورته، وتعينه على خداع شعبه بإعطائه من أموال وخيرات الشعوب المسلمة التي رقتها في يد أذيال الكفرة الفجرة من أصحاب المصالح والكراسي، والزعامة وغيرهم ممن يجهضون كل حركة إصلاحية ويدفنونها في مهدها قبل أن يسمع

الآخرون نداءها وصوتها الذي لم ينطلق بعد، وصار هؤلاء مثل يهود يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم، وليس من معتبر ولا غيور.

إن منهج فرعون وقارون وملاهما ذاته يمارس اليوم على كل شريف حاكماً كان أو محكوماً في العالمين العربي والإسلامي.

فكانت هذه القصص درساً للمشركين الذين تصدوا لدعوة التوحيد، وتفننوا في المواجهة والتحدي والأذى، ولم ينتفعوا من عاقبة المفسدين الذين سمعوا عنهم من أهل الكتاب، ولم يستفيدوا من أخطائهم ومن غضب الله تعالى الذي حل بمن سبقهم.

وأيضاً درساً لفراغة العصر وملئهم والموالين لهم، ولا بد من الليل أن ينجلي، ولن تموت أمة فيها أناس يذودون عن حياضها، ويموتون في سبيلها. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ الشعراء: ٢٢٧^١.

أما بعد:

فإن الحديث عن فساد فرعون وقارون وقوم مدين هو الحديث ذاته عن ميزان القوى والقيم وهو من أهم الأبحاث وأدقها، وهو ضرورة يجب عرضه وبيان آثاره، ولا يمكن لأمة أن تستريح وتنعم بالأمن والاستقرار حتى تحقق الأمن السياسي والاقتصادي على أسس إيمانية بالله ورسوله منهجاً

^١ حول تطبيق الشريعة ص ١٢٠ محمد قطب مكتبة السنة الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ القاهرة.

وأحكاماً وواقعاً، فالأمن ضرورة، ولا يمكن لشعب أن يهنأ بعيش، ولا أن يبني ويتطور إلا في ظل الأمنين السياسي والمالي، قال الله تعالى في معرض منته على المؤمنين: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ قريش: ٣. مع قوة رادعة وقوة مهيمنة وصدق الله تعالى إذ دعا إلى هذا بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال: ٦٠.

والقوة الحقيقية هي: "الحكم والسلطان مع العلم والإيمان" لتحقيق السكينة والاطمئنان.

فالمجتمع القوي هو من تحقق فيه قول الله تعالى: (أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قريش: ٤. أي تحقق فيه الأمان، الأمن السياسي، والأمن الاقتصادي. فهما من أهم مقومات الحياة وكمالياتها، وذلك بأن يملك القوة المادية والمعنوية وإخلاص العبادة لله وحده، والتحاكم إلى شرعه الحنيف.. وهذه هي أهم أهداف دعوة الإسلام، ووظيفة الرسل والأنبياء الذين أمروا بتبليغها..

يقابل هذا، القوة المزعومة: الناتجة عن "التسلط والتجبر والاستخفاف بعقول الناس" فهي قوة سرعان ما ينكشف أمرها، وتزعزع أركانها، وتزول آثارها. تماماً كما فعل بفرعون وقارون رمزا الاستعمار البغيض، والاستبداد الأثيم، والقوة الخرقاء المزيفة التي أصبحت سراباً بمجرد أعمل أهل الإيمان عقولهم واستندوا إلى القيم الإيمانية والقوى الربانية، وكانوا بحق عبيداً لله الخالق الحق العدل، ونهجوا منهج الخير وأخذوها بقوة وإيمان وصلابة وثبات، وهم يلبون نداء الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنفال: ٢٤. فأهل الضلال والإرهاب والجبروت باقون، مادام أهل الإيمان والحق والعدل في النوم غارقون، وعن أمر الله تعالى مبتعدون. "وينبغي أن نعلم أن هذا الكيد ليس ابن اليوم، وليس ابن الأمس القريب، إن عمره على وجه التحديد أربعة عشر قرناً ونيفاً، أي منذ نزل هذا الدين، وعندما نعود إلى كتاب الله نجد وصفاً دقيقاً لهذا الكيد من كل الأطراف الحاقدة على لا إله إلا الله، والأمة التي أقامت لا إله إلا الله واقعاً معاشاً في الأرض، أولئك اليهود والنصارى والمشركون والمنافقون ما تغير موقفهم منذ أربعة عشر قرناً، وما تغيرت الأسباب التي دعتهم إلى

موقفهم".^٢ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ
 إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ البقرة ٢١٧. وقال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا
 النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ البقرة: ١٢٠. وهم يحدّون بعضهم من
 المسلمين فيقولون: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ آل عمران: ٧٣.
 وأعداء الله ورسوله بالجملة، أصحاب مكر وحيلة وخيانة ونفاق. ذكر
 سبحانه وصفهم فقال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ محمد: ٣٠. فهم
 خونة ماكرون ومخادعون كاذبون لا ينفك عنهم هذا الوصف على مر
 العصور والدهور، قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ
 الْبُعْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ آل عمران: ١١٨. أي لا
 يقصرون في إلحاق الضرر والإيذاء بكم. فالكيد قديم وإن كانت بعض
 الوسائل قد تغيرت، فإن كل جيل من البشر يستخدم في صراعاته الأدوات
 المتاحة في جيله، وإنما الذي تغير حقاً هو موقف الأمة الإسلامية من هذا
 الكيد، وليس الكيد في ذاته ولا وسائل الكيد.

إن الله يبيّن الأمة في كتابه المنزل إلى خطر أعدائها، وإلى موقفهم
 ووسائلهم، وتدبيرهم الظاهر والخفي. إنهم لن يكفوا عن الكيد أبداً مادامت
 الأمة المسلمة قائمة، ومادامت هناك فرصة للنيل منها، ولكن هناك أداة

^٢ حول تطبيق الشريعة الإسلامية ص ١٢٠ محمد قطب.

ربانية ترد كيدهم في نحورهم فلا يضر الأمة بشيء. فما هي هذه الأداة؟
إنَّها تأمّن القوتين المادية والمعنوية، والصبر على تكاليف هذا الدين والصبر
في مواجهة الأعداء، وثبات المسلمين على دينهم، وأيضاً التقوى لله أي
اتقاء سخطه وغضبه، إنهما قوتان لا يجد الأعداء ثغرة للنفاذ إلى الأمة
والحاق الضرر بها، فإن قلنا اليوم إن الكيد شديد، فهذه حقيقة، ولكنها
حقيقة لا تعفي الأمة من مسؤوليتها أمام الله تعالى، يوم يكون الإنسان
على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ٢٠٠. وسنة
الله تعالى لا تتخلف في العقاب الجماعي، تماماً كما فعل بأهل الفسق
والفجور في أقوام الأنبياء الذين حاربوا الفضيلة وطغوا وتجبروا، فكانت
نهایتهم وخيمة، وعاقبتهم الدمار والعذاب المقيم في الدنيا ولعذاب الآخرة
أشد وأبقى، وسنرى في ثنايا البحث الميزان الحق للقوى والقيم في القديم
والوقت المعاصر، وكيف المخرج للأمة الإسلامية إن هي قابلت مكر العدو
وأعدت العدة، وأحكمت زمامها من الانفلات الأمني والاقتصادي
والسياسي والاجتماعي، وحصنت صفوفها من الطابور الخامس.

الفصل الأول: المبحث الأول: القوى والقيم بيان وتحليل

المطلب الأول: القوى والقيم

القوى: " هي القوة: خلاف الضعف. والقوة: الطاقة من الجبل، وجمعها قوى"،^٣ والقوي: هو الذي يقدر على الشيء وعلى ما هو أكثر منه^٤.

والمقصود بالقوى، القوى الحاكمة في الأرض على أساس الظلم والبغي والاستعلاء والاستضعاف، على حساب تحفيف مصادر القوة، والقضاء على العنصري البشري الذي يتمثل بالشباب والعقول التي تبني وتحصن المجتمع مادياً ومعنوياً.

^٣ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٦/٢٤٦٩.

^٤ الفروق اللغوية ١/١٠٦.

هذه القوى التي هي مصنع الشر ونشر الرذيلة ليس لها من القيم والسلوكيات الأخلاقية نصيب بل هدفها محاربة الفضيلة، ومبدؤها التسلط والتجبر وإملاء الأوامر على القوى الضعيفة التي تتمتع بالقيم الخلقية الكريمة، والسلوك القويم الذي يهدف إلى إقامة العدالة، والمجتمع الفاضل.

المطلب الثاني: القيم

القيمة: واحدة القيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. يقال: قومت السلعة. وأهل مكة يقولون: استقمت السلعة، وهما بمعنى. والاستقامة: الاعتدال.^٥

والقيم السلوكية: هي مجموع الصفات السلوكية العقائدية والأخلاقية، التي توجه السلوك، وهي التي تصنع نسيج الشخصية، وتبنى على تصور محدد للكون والخالق، وللإنسان والعقل والعلم والمعرفة. وأنها تأثرت بالمنهج

^٥ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٢٠١٧/٥

القرآني، ومبادئه ومثله، وقد ذكرت تحت مسميات مختلفة، مثل: المبادئ، الأخلاق، والفضائل...^٦

ومن مقومات القيم الأخلاقية والسلوكية في الإسلام أنها تتميز بما يأتي:

١- فيها الثبات والاستقرار فهي ثابتة لا تتغير. مبنية على ما وضعه الله تعالى في الإنسان من مؤهلات بدنية ونفسية وفطرية، وحيث يستحيل في حق المصدر الإلهي الخطأ أو العبث، فإن مصداقيته قطعية الثبوت.

٢- وتتميز أيضاً بالتعدد والمرونة، والخاضعة للتغير المضبوط، في ظل التقدم العلمي والتقني المذهل، الذي غدى يمس كل مكون من مكونات حياة الإنسان".

٣- المنهج القرآني يربي المؤمن على القيم الأخلاقية والاجتماعية، "من خلال الممارسة العملية للعبادات بصفة عامة ومنها عبادة الإنفاق والصدقة، التي يتجلى لها هذا الأثر الازدواجي، الذي يستهدف به الباري تطهير النفس أخلاقياً، من خلال تنقيتها من شوائب الحرص الشديد على جمع المال، وإبعاد رذائل البخل، والشح، والطمع، كما يعزز المنهج القرآني من

^٦ القيم الأخلاقية في التراث التفسيري د. عبد القادر الشايط، أستاذ باحث، تخصص علوم القرآن، جامعة محمد الأول وجدة (المغرب). موقع هيئة علماء فلسطين. الالكتروني.

خلال الزكاة قيم التكافل، ومؤازرة الفقراء ومواساتهم، وسد حاجة المعوزين والبؤساء، والمحرومين اجتماعياً، ومن تم العمل على تقوية المجتمع وتثبيته واستقراره، لتسود به قيم: التضحية والإخلاص والعفة والإيثار... وهذه القيم كفيلة بإزاحة كل الرذائل التي تعشعش داخل المجتمع الذي تتفاوت فيه الطبقة بين أفراده".^٧

المطلب الثالث: أصناف القيم الإسلامية

" صنف محمد تقي المدرسي الفضائل والقيم الإسلامية إلى خمسة أصناف، انطلاقاً من تصنيفاته العملية للأخلاق في كتابه المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، ومن المفيد أن أذكرها كما جاءت لشموليتها ودقة تصنيفها:

١- الأخلاق الفردية: وتشمل القيم التالية: الاستقامة، العفة، كظم الغيظ، الصدق، الأمانة، التواضع، البخل، الإسراف.

^٧ المنهج القرآني في تربية القيم الأخلاقية والاجتماعية، ص ٢٦٤-٢٦٥. المؤلف، أحمد الزباخ.

٢- الأخلاق الأسرية: وتتمثل في تلك القيم التي تربط الآباء بالأبناء، والأزواج والأقارب والأرحام. وهي: طاعة الوالدين، الإحسان إليهما، شكرهما، مصاحبتهما بالمعروف، المودة، الإنفاق.

٣- الأخلاق الاجتماعية: وتشمل القيم التالية: تحريم الغش والظلم، وجوب الوفاء بالعهد، العفو والإحسان والكرم، تحريم الاعتداء على الأنفس.

٤- الأخلاق الدينية: وتشمل الفضائل التالية: طاعة الله وشكره، التوكل على الله، الخوف من سطوة الله، الأمل في رحمة الله، التوبة من الذنب.

٥- أخلاق الدولة: وتشمل القيم والفضائل التي تربط الحاكم بالمحكوم، مثل: العدالة، الحرية، المساواة، إقرار النظام، صون الأموال، التشاور، الدفاع، مساعدة المستضعفين، وحدة الكلمة، الرقابة والوفاء بالعهد".^٨

وفي النص القرآني نجد أن كلمة (حُلق) قد وردت مرتين: الأولى: في رد قوم هود عليه السلام عندما دعاهم لعدم التعلق بالدنيا والتطاول

^٨ المجتمع الإسلامي، منطلقاته وأهدافه، محمد تقي المدرسي، بيروت، ط ١، ١٩٨٢م، ص ٦٦.

بالعمران، وأن يعبدوا الله فذلك أقوم وأفضل لهم. فأجابوه وفق ما جاء في الآية الكريمة (إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ)، الشعراء: ١٣٧. فردهم هذا يتضمن مقولة مفادها: أن هذا الذي جئتنا به، هو سنة وعادة قوم سبقوك في الظهور، وادّعوا مثل دعواك. وفي تلمس معاني هذه الآية الكريمة يتبين لنا أن دعوة الأنبياء والرسل كانت دوماً تعتمد خطأً واحداً في منهاجها الأخلاقي الذي يقود إلى صلاح المجتمعات، وصلاح الأفراد.

الثانية: في قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)، القلم: ٤. جاء الخطاب من الله تعالى إلى النبي محمد صلى الله عليه، وهو من كانت سيرته سنة يقتدى بها. وتؤكد كتب السيرة انه لم يكن لبشر ما كان! للنبي محمد ﷺ من الأخلاق، فقد كان أحسن الناس خلقاً.. وأكثرهم محبة ورأفة ورحمة. فدللت الآية على أن المتصف بما في القرآن من مكارم الأخلاق أنه يكون على خلق عظيم وذلك لعظم ما في القرآن من مكارم الأخلاق. وفي تلمس معاني هذه الآية الكريمة يتبين لنا أن دعوة الأنبياء والرسل كانت دوماً تعتمد خطأً واحداً في منهاجها الأخلاقي الذي يقود إلى صلاح المجتمعات، وصلاح الأفراد.^٩

^٩ من صور القيم الأخلاقية في القرآن إسلام ويب.

المطلب الرابع: مكانة القيم الأخلاقية في الإسلام

للقيم الأخلاقية في الإسلام مكانة سامية، بل هي الأساس في المنهج والدين إذ "المنهج القرآني يستهدف تثبيت أسس القيم الأخلاقية في السلوك البشري انطلاقاً من مجموعة من القواعد والضوابط التي حددها الإسلام والمتجلية في الأوامر والنواهي المبتوثة في آي القرآن الكريم، والتي تعتبر مصدراً لأحكام الشريعة ومكارم الأخلاق، فجاء بين الخير والشر، وبين الفضيلة

والرذيلة والسبل التي تفضي إلى كل منهما، كما يبين العواقب المترتبة على كل جنوح عنها، حيث ورد في القرآن الكريم من الفضائل والتعاليم الخلقية ووصايا الخير الكثير.

ويبين ذلك ابن حزم الأندلسي بقوله: "فكما أن القرآن مصدر للأحكام الشرعية فهو مصدر لمكارم الأخلاق، حيث يبين الخير والشر، ويبين الفضيلة والرذيلة والسبل التي تفضي إلى كل منهما، كما يبين العواقب المترتبة على ذلك، وورد فيه من أصول الأخلاق والفضائل والتعاليم الخلقية، والوصايا الحكيمة الخير الكثير".^{١٠}

المبحث الثاني: قوى وقيم في سورة القصص

المطلب الأول: ما تضمنته سورة القصص

١- مقصود السورة: بيان ظلم فرعون بنى إسرائيل، وهذه قوة ظالمة.

^{١٠} ، ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق، ص ٣٠٤. مصطفى، وديع واصف.

٢- ولادة موسى: وهذه تمثل القيم الأخلاقية والعدالة الاجتماعية لما سيحمله سيدنا موسى عليه السلام من نصره الحق، والوقوف أمام الطاغية. ومحبة آسية له، ورد موسى على أمه.

٣- وحديث القبطي، والإسرائيلي: سخر الله لنصرة الحق وأهله ما لا يخطر على بال، حيث انبرى أشخاص من صنف الظالم وأهله ليكون حجر عثرة، يصب في صالح القيم الخلقية، والثبات على الفضيلة.

٤- وهجرة موسى من مصر إلى مدين، وسقيه لبنات شعيب، واستئجار شعيب موسى، وخروج موسى من مدين، وظهور آثار النبوة، واليد البيضاء، وقلب العصا، وإمداد الله تعالى له بأخيه هارون، وكل هذه الأمور تبين صعوبة الدعوة إلى الحق وأنها تكلف ترك الوطن، والتدرب على أناس وجغرافيا جديدة وما فيها من صعوبات في سبيل القيم الأخلاقية والعدالة الاجتماعية ونصرة المظلوم.

٥- وحيلة هامان في معارضة موسى، وهذا يظهر مساعي أهل الباطل واختراع الحيل والأساليب الملتوية، لإضعاف الحق، وتثبيت الظالم.

٦- ومدح مؤمني أهل الكتاب، وهذه دعوة للوقوف مع أهل الحق ونصرة المظلوم.

٧- وقصة إهلاك القرون الماضية، ومناظرة المشركين يوم القيامة، واختيار الله تعالى ما شاء، وهذه دعوة أيضاً للتبصر وأخذ العبر والعظات.

٨- وإقامة البرهان على وجود الحق إياه بالقهر، ووعد الرسول ﷺ بالرجوع إلى مكة، وهذا من باب التثبيت لقلب النبي ﷺ، ودرس للدعاة.

٩- وبيان أن كل ما دون الحق فهو في عرضة الفناء والزوال، وأن زمام الحكم بيده تعالى في قوله (كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون).^{١١}

المطلب الثاني: مصطلحات قصة فرعون وموسى في سورة

القصص

^{١١} بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/٣٥٣، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ). بتصرف وشرح وبيان.

الشخصيات التي وردت في سورة القصص بما يتعلق بفرعون الذي

يمثل القوة الطاغية المستبدة، ونبي الله موسى والذي يمثل القيم الإنسانية

الراقية التي تأخذ حق المستضعفين تشمل ما يأتي:

١- قوم فرعون: هم الأقباط. والقبطي: اسم يعود إلى اللفظ اليوناني

Aiyut قبل دخول العرب إلى مصر كانت كلمة قبط تدل على أهل مصر

دون أن يكون للمعتقد الديني أثر على ذلك الاستخدام، إلا أنه بسبب

كون السلطة كانت بأيدي أصحاب الديانة المسيحية وقبل دخول العرب

المسلمين مصر فقد اكتسب الاسم كذلك بُعداً دينياً تمييزاً للمسيحيين لهم

عن غيرهم.

٢- قوم موسى: هم بنو إسرائيل وهم الطائفة، وقد كانوا قطنوا مصر

برضى ملكها في زمن يوسف- عليه السلام - وأعطوا أرض جاسان

وعمروها وتكاثروا فيها ومضى عليهم فيها أربعمئة سنة فكان لهم الحق في

أرض المملكة ما لسائر سكانها، فلم يكن من العدل جعلهم بمنزلة دون

منازل غيرهم ﴿يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ إذ جعلها من أهل الأرض الذين

جعلهم فرعون شيعاً. من أجل ذلك الاستضعاف المنوط بالعنصرية أجرى

شدته على أفراد تلك الطائفة دون تمييز بين مستحق وغيره.

٣- الأرض: هي أرض مصر.

٤- فرعون: اسم ملك مصر وفرعون موسى هو رعمسيس الثاني الذي كانت ولادة موسى في زمانه وهو الذي كان يحذر ظهور رجل من بني إسرائيل يكون له شأنه.

٥- ملأ فرعون: أهل دولة فرعون أولوا الشأن.

٦- هامان: هو لقب مثل فرعون وكسرى وقيصر والنجاشي، وهو لقب وزير الملك في مصر في ذلك العصر حيث كانت أوامر الملوك في العصور الماضية تصدر بواسطة الوزير فكان هو المنفذ لأوامر الملك بواسطة أعوانه من كتاب وأمرء ووكلاء ونحوه فيما يليق به، ﴿فَأَوْقَدُ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ القصص: ٣٨.

٧- الجنود: جمع جند ويطلق الجند على الأمة. ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ

الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ البروج: ١٧ - ١٨

٨- الوحي: هو الإلهام هنا خاطر الواردات الإلهية.

مؤمن آل فرعون ينتصر لموسى:

بداية نذكر بأن المملأ الفاسد يأخذون الحذر والحيطه من الشعب مخافة أن يسخطوا عليهم، لذلك فهم يتجنبون السكنى بين الناس، وينتقون أماكن للسكنى في أطراف المدينة تجنباً للثورات والغارات، وتكون مساكنهم في حرز ومأمن، وما أدل على ذلك من مساكن فرعون وقصوره مع ملئه، فإن عادة الملوك يتعدون عن الناس ولهذا عبر القرآن ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ أي أطراف المدينة ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ وأراد بهم أهل دولة فرعون، والمعنى: إن أولي الأمر يتشاورون في قتلك. وهذا يدل على أن القضية رفعت إلى فرعون، ولما علم هذا الرجل بذلك أسرع بالخبر لموسى، لأنه كان معجباً بموسى واستقامته.

وقيل: إن هذا الرجل كان من بني إسرائيل. وقيل: من القبط ولكنه كان مؤمناً يكتم إيمانه، لعل الله ألهمه معرفة فساد الشرك بسلامة فطرته، وهياًه لإنقاذ موسى من فرعون. وهنا يلاحظ بأن في كل تجمع شر هناك من يخالفهم ويعمل على فضحهم والتصدي لهم.

وكان من نصر الله عز وجل لموسى عليه السلام أن بعث له ناصراً من داخل أسرة فرعون، آمن به ولكنه كان يكتم إيمانه عن فرعون وملائه، وقد كان له موقف عظيم تجلّى فيه النصح الخالص والحرص على موسى، والحكمة البالغة في وعظ فرعون وملئه، وبدأهم بقوله على وجه المشاورة

هم: ﴿تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

غافر: ٢٨ ثم تدرج في وعظهم يجمع لهم بين الترغيب والترهيب، ويخوفهم

بزوال^{١٢}

^{١٢} حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد ١/١٠٧.

المطلب الثالث: من مقاصد سورة القصص

يقوم كيان السورة على قصة موسى وفرعون في البدء، وقصة قارون مع قومه قوم موسى - في الختام.

أ- القصة الأولى: تعرض قوة الحكم والسلطان؛ قوة فرعون الطاغية المتجبر اليقظ الحذر، وفي مواجهتها موسى طفلاً رضيعاً، لا حول له ولا قوة، ولا ملجأ له ولا وقاية، وقد علا فرعون في الأرض، واتخذ أهلها شيعاً، واستضعف بني إسرائيل، يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، وهو على حذر منهم، كاتم على أنفاسهم، مراقب لحركاتهم، مُخَصِّصٌ عليهم تحركاتهم، كشأن الطغاة في كل عصر ومصر.

ب- والقصة الثانية: تعرض قيمة المال، ومعها قيمة العلم؛ المال الذي يستخف القوم، وقد خرج عليهم قارون في زينته، وهم يعلمون أنه أوتي من المال ما إن مفاتحه لتعبي الأقياء من الرجال. ولكن الذين أوتوا العلم الصحيح من قومه لا تستخفهم خزائنه، ولا تستخفهم زينته، بل يتطلعون إلى ثواب الله، ويعلمون أنه خير وأبقى. ثم تتدخل يد الله فتخسف به وبداره الأرض، لا يغني عنه ماله، ولا يغني عنه علمه، وتتدخل تدخلاً مباشراً

سافراً، كما تدخلت في أمر فرعون، فألقته في اليم هو وجنوده، فكان من المغرقيين.^{١٣}

المطلب الرابع: موضوعات سورة القصص

تحكي السورة قصة فرعون الذي يمثل السلطة والحكم الفاسد، وقصة قارون الذي يتحكم بالمال بعيداً عن القيم والأخلاق، فيستعبد الناس ويذلهم.

وفي المقابل تذكر السورة موقف موسى مع فرعون ويمثل القيم والأخلاق والاعتماد على قوة الواحد الأحد، وأيضاً الفئة المؤمنة التي قابلت قارون حينما رجوا ثواب الله سبحانه وتعالى بدافع إيمانهم ولم ينساقوا وراء قارون وزينته معتمدين على ربهم راجين ثوابه وعطاءه. أما السورة فقد تناولت الأمور الآتية:

١- تفصيل ما أجمل في سورة النمل من قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سأتیکم منها بخبرٍ أو آتیکم بشهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ النمل: ٧. وسوق هذه القصة للعبارة.

٢- قصة فرعون مع موسى لتكون عبرة للمؤمنين يتخذون منها سناً يعلمون بها علل الأشياء ومعلولاتها، فلولا تجر فرعون وهو من قبيح الخلال

^{١٣} مقاصد سورة القصص. محمد الهنداوي. آخر تحديث: ١٣:٣٨، ٢٨ يونيو ٢٠١٩.

ما حل به وبقومه الاستئصال، ولما خرج بنو إسرائيل من ذل العبودية. ﴿إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ
أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص: ٤

٣- وقصة قارون مع قومه وكيف اعترز بأمواله وثروته، وقد ضرب الله
الأمثال للمشركين لحال تعاضمهم بأموالهم وقولهم ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا
الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الزخرف: ٣١. فكانت قصة فرعون
مثلاً بحال فرعون مع موسى.

٤- سورة القصص نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود
هي قوة الله تعالى، وأن هناك قيمة واحدة في هذه الكون هي قيمة الإيمان
بالله تعالى، فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه ولو كان مجرداً من كل
مظاهر القوة، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له ولا طمأنينة ولو ساندته
جميع القوى، ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله، ومن فقد هذه القيمة
فليس بنافعه شيء أصلاً.^{١٤}

٥- يقوم كيان السورة على قصة فرعون مع موسى وقارون مع قومه.
أما فرعون فقد ساس البلاد سياسة غاشمة وقضى على مصدر الاقتصاد

^{١٤} في ظلال القرآن ٥/٢٦٧٤- لسيد قطب، دار الشروق - بيروت- القاهرة الطبعة: السابعة

الذي يتمثل في الرجال حيث أصدر حكماً بقتلهم وبذلك قضى على الصناعات المتنوعة والزراعة والتجارة وغيرها وزمامها تكون في الغالب بيد الرجال وهي منبع المال ومنشؤه، وقيام فرعون بإزهاق الأرواح البريئة وإفساد الحياة المادية لمن أعظم الفظائع وقبيح الفعال وبذلك يكون فرعون مصدر الفساد السياسي والمالي لأن الغلب الاقتصادي في بلد (ما) أشد وقعاً وأعظم أثراً في أهلها من الغلب الاستعماري. وتطالعنا سورة القصص فتذكر سبب زوال ملك فرعون وهلاكه وكذا قارون.

٦- التمكين للمؤمنين والنصر للمظلومين، والتحذير من معاونة الظلمة المجرمين أو موالاتهم قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ التوبة: ٧٣. وقال أيضاً: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُدْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ التوبة:

.١٤

الفصل الثاني: قصة القوة والقيمة الأخلاقية

المبحث الأول: القصة الأولى: (فرعون وملأه) وتمثل (القوة

الطاغية)

المطلب الأول: أدوات ووسائل الحكم الفرعوني كما في سورة

القصص

في سورة القصص وفي المشهد الأول منه "الجانب السياسي" قوة السلطان والحكم تحدث عن إدارة حكم فرعون وجنوده وملئه المقربين، ووزرائه المخلصين يرأسهم هامان، وفي هذا المشهد تتبلور الأنظمة الفاسدة والطغمة الحاكمة المستبدة وبرامجها ووسائلها وأهدافها.

فقد كان فرعون عالياً مستكبراً متسلطاً، فهو ذو أملاك وسيطرة وقوة استطاع بهذه الأدوات إخضاع وإذلال الذين ليسوا من قومه ولا عرقه، وهذا لا يعني أنه بمفرده استطاع أن يتوصل إلى ما هو عليه، بل يجب أن ندرك بأن هناك عملاً منظماً وعقلاً جمعياً يفكر ويخطط ويحدث الأثر في المجتمع على النحو الذي يريد بدءاً من الإعلام مروراً بالتهديد وتجريد الناس من مكان القوة، وصولاً إلى النفس الانهزامية التي هي ثمرة من ثمرات هذه

السياسة، إلى أن يحقق الاستخفاف بهم وذلتهم بعدها يتم السيطرة عليهم بكلفة الصفر، بل هم من يقوم بما يريد وبأدواتهم وجهودهم وأموالهم، وبهذا ندرك معنى قول الله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِيَّهِمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ الأحزاب: ٥٤.

أ- فهو عنصريٌّ في الدرجة الأولى سخر من حوله وبث العيون في مفاصل الحياة والأحياء، واستطاع أن يَكُون وزراء وجنداً أخلصوا له ووطدوا الحكم له، بعد أن مكن فيهم دعوته لنفسه بأنه مالك رقاب الجميع وهو يتصرف فيهم كيف يشاء، ولما جمعهم وخطب فيهم اطمأن لهم واطمأنوا إليه واستقر في نفوسهم أنه الفرد الرمز وأيقنوا بمقولته ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ القصص: ٣٨.

ب- ومن أهم الوسائل التي استعملها للسيطرة على بني إسرائيل هي الأمور الآتية:

١- التكبر والاستعلاء.

٢- الاستضعاف والاستخفاف.

٣- التفريق والتمزيق. ٤- التسلط والتجبر.

يقوم الحكم الفرعوني ومن لف لفه واتبع سياسته وهو يمثل القوى مقابل القيم في المشهد الآتي:

- ١- استعمال أسلوب التفوق على الناس والتعالي عليهم والتكبر والتجبر.
- ٢- استعمال أسلوب فرق تسد.
- ٣- الإذلال بهضم الحقوق، وبعنصرية وقبلية. أي زرع الخلاف فيها.
- ٤- الإرهاب والتخويف بالقتل والتعذيب.
- ٥- القضاء على الفئة المثقفة والفاعلة في المجتمع وهم مصدر الصناعات والاختراعات والتقدم والبناء، بالإضافة إلى التجويع وقطع سبل الحياة، وإشغال الناس بلقمة عيشهم.
- ٦- التهجير القسري والملاحقة.
- ٧- تكذيب المؤمنين مع تلفيقات ومباهتات.
- ٨- الطغاة لهم خطاب خاص مع أتباعهم ليثبتوهم على عقيدتهم.
- ٩- تسخير الجنود وبث العيون.
- ١٠- بث الضلال ونشره باختراع قواعد الضلال وأوهامه والانتصار له ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ القصص: ٤١.

١١- زرع النفاق في صفوف القادة والمتنفذين، ليتنافسوا بالخيانة في المواصلة مع الطغاة فيستعملوا سياسة النميمة والفتنة والتلفيق، ثم يوكلوا من قبل الطغاة للاغتيال أو التفجير أو التجويع.

وفي سورة القصص تتجلى هذه المعاني في الآيات التي ساقته المشهد بشكل تفصيلي.

أما القوى التي استعملها النظام الفرعون بالمطالب الآتية:

المطلب الأول: التكبر والاستعلاء

يقال علا فلان في الأرض: تكبر وتجبر. وأيضاً اضطلع به واستقل، والعلو: العظمة والتجبر.^{١٥} يبدأ العقاب الإلهي بفرعون ليكون مثلاً لكل مدع للألوهية، ظالم للرعية، فما هي الصفات التي أوصلته إلى هذا الادعاء؟ وما هي الأسباب التي سودته على قومه وهم بشر مثله؟ لا شك أن هناك صفات جمعها واستحكمت فيه حتى جعلته يصدق كذبه ويطبق ما تخيله من تعاضم واستعلاء، علماً بأن الاستعلاء صفة الله التي يعلو أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين. قال الله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا

^{١٥} المعجم الوسيط ص ٦٢٥

يُشْرِكُونَ ﴿ الأعراف: ١٩٠ وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ عُلوًّا كَبِيرًا﴾ الإسراء: ٤٣. ففرعون أخذ صفة إبليس وقد خاطبه ربه سبحانه وتعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ ص: ٧٥. كما أخذ صفة الألوهية ظناً منه أنه أحاط بقومه إحاطة شاملة يستطيع فعل ما يشاء بهم، بعد أن أحكم السيطرة عليهم ووضع القتل فيهم واستعبدهم وأذلهم.

المطلب الثاني: الاستضعاف

استضعفه: عده ضعيفاً وأذله^{١٦}. وجاء في المفردات: الضعف قد يكون في البدن والنفس وفي الحال. أما الضُّعْفُ بضم الضاد، يكون بالبدن. والضُّعْفُ بفتح الضاد يكون في العقل والرأي قاله الخليل، واستضعفته وجدته ضعيفاً وقوبل بالاستكبار قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ سبأ: ٣٣.

^{١٦} معجم الوسيط ص ٥٤٠

المطلب الثالث: استعمال أسلوب التفريق

وهذه أداة الطغاة في كل عصر ومصر ومصطلح شيطاني يستعمله أعداء الإسلام من صهيونية وصليبية حاقدة، وقوميات فاسدة. فهؤلاء يجعلون أهل البلاد فرقة ذات نزعات تشيع وتتحزب كل فرقة إليه وتعادي أختها فيرجع الخير عليه والشر على الضعفاء، ويكون بذلك قد كسب أصواتاً من قبل الذين جنّدهم مع أنهم أعداؤه لكن باستعماله أداة (فرق تسد) استطاع أن يؤلب بينهم، وينفث فيهم سموم العداوة والبغضاء عملاً بقاعدة "فرق تحكم" سياسة لا تليق إلا بالمكر بالضد والعدو ولا تليق بسياسة ولي أمر الأمة الواحدة.

المطلب الرابع: الإرهاب

من الصفات التي استعملها فرعون الإرهاب متمثلاً بالقتل والاستعباد والإذلال لأنه لما أراد أن يتخلص من بني إسرائيل الذين كانوا يعيشون معه بطردهم فلم يستطع لأنهم صاروا يعدون بالآلاف فابتكر طريقة جهنمية خبيثة للقضاء على الخطر الذي يتوقعه من هذه الطائفة التي لا تخضع له ولا تعبده ولا تعتقد ألوهيته، فما كان منه إلا أن سخرهم في الشاق الخطر من الأعمال واستذلهم وعذبهم بشتى أنواع العذاب، ومع ذلك كله قرر ذبح الذكور الذين يولدون من جديد خوفاً من أن يأتي المخلص النبي الموعود. كما أحكم الملاحقة لكل امرأة تلد، فوضع الجواسيس ومع ذلك كان يخاف

من هؤلاء الضعفاء على نفسه، قال الله تعالى: ﴿اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولِينَ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ فاطر: ٤ .

المبحث الثاني: أعوان الظلمة: المملأ الفاسد قوم فرعون

المطلب الأول: مفهوم المملأ

المملأ: جماعة يجتمعون على رأي، فيملؤون العيون زواء ومنظراً، والنفوس بهاءً وجلالاً، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ البقرة: ٢٤٦، وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ الأعراف: ٦، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ القصص: ٢٠، وقال الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ النمل: ٢٩، وغير ذلك من الآيات. يقال: فلان ملء العيون. أي: معظم عند من رآه، كأنه ملأ عينه من رؤيته، ومنه: قيل شاب مالى العين، والمملأ: الخلق المملوء والمملأ: "هم عظماء القوم

وسادتهم، وهؤلاء عقبه الاصلاح في كل زمان ومكان، ترتعد فرائضهم إذا ما سمعوا إلى دعاة الحق وتوهموا أنهم سيسلبون مكانتهم ومنزلتهم وما فرضوه على الناس من عبودية وتسخير، ولهذا كانت المواجهة عنيفة عبر التاريخ بين هؤلاء المستكبرين الطغاة، ومن أرسلهم الله لخلقه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، والإيمان باليوم الآخر. وفيما ذكر الله من قصص أنبيائه تقرأ هذه العبارات: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ المؤمنون: ٣٣ قال الله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ الأعراف: ٦٦، وقال الله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُ﴾ الأعراف: ٧٥، وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ﴾ الأعراف: ١٠٩. وهكذا إنهم أصحاب السلطان والجاه والأموال والمناصب، ليسوا على استعداد ليستمعوا مجرد سماع إلى هؤلاء الرسل فضلاً عن أن يدخلوا معهم في دينهم ليكونوا تبعاً لهؤلاء المرسلين، إنهم القادة والسادة، فكيف يكونون عباداً لرب العالمين يقتدون بأبياء الله ورسله.^{١٧}

وكلمة الملاء : وردت في القرآن الكريم في الحوار الذي يجري بين أهل الحق ، وأهل الباطل، وكل جماعة تتبع من يقودها ، وتعتبر المسؤولة عن الهندسة الفكرية والعقدية، ومصدر المشورة والرأي الدقيق الذي يصدر عنه

^{١٧} التفسير الموضوعي ١/٣٧٢. مناهج جامعة المدينة العالمية.

السيد الذي يتربع على عرش الحكم ، أو زعامة القبيلة ، أو من بيده المال والجاه ، والذي قام بغسيل الأدمغة التي حوله لتكون مستعدة للحلول التي يحتاجها للخروج من المأزق الذي طالما يقع فيه هواة استعباد البشر، وتأليههم وإخضاعهم، والعمل على ترويح ذلك، ونسج الأساليب والطرق التي تمكن أهل السلطة من البقاء في سلطتهم، بل وتبييض صفحاتهم، وتعمل على تزوير الحقائق، وبيع القيم مقابل رشاوى يتقاضونها، أو مكانة يحظون بها. فهم البوق الإعلامي الذي ينفخ فيه سيدهم متى شاء، وفي الوقت الذي أراد. فلديهم الاستعداد التام لحل أي معضلة لتثبيت كرسي سيدهم وراعيهم وولي نعمتهم، كما وعندهم الاستعداد التام للتضحية والفداء بأي وقت يدعوهم الموقف والطلب لذلك. فعقولهم تمَّ برمجتها حسب ما حُطَّط لهم، حتى صارت لديهم العقيدة المكيئة التي صبها فيهم أولياء أمورهم فاستحكم فيهم الباطل والدفاع عنه، وإيجاد الأدوات التي تحافظ عليه، وتجادل من أجله، مع نفس طويل، ومكر ودهاء نابع من نفس شريرة وقوة مصطنعة مدفوعة. فقد تناولوا نبتة طلعتها كأنه رؤوس الشياطين، فأصابهم الحبط فانتفخت أوداجهم بعد بطونهم، وراحوا ينفثون الشر. فهم صنّاعه ومروجوه، ورعاته وحماته ومنفذه. إنها صناعة الشرِّ، وصناعة الموت بأبشع صورته وأشكاله حسّاً ومعنىً. هذه هي صورة الملائ

الذين يتجمعون مع الطواغيت ولأجلهم، ويمارسون لعب دور المحامي والمدافع عن أصحاب النفوذ والسلطة في كل مفصل من مفاصل حياة الناس ومصالحهم، إن اجتماعياً، أو اقتصادياً، أو ثقافياً، أو تربوياً فهم يتدخلون في كل شيء. فزعامتهم آتية من نفوذهم وسيطرتهم على جميع مرافق الحياة على رأسها المال، يشترون الذمم والعقول، ويسخرون أصحاب النفوس الضعيفة، والقلوب المريضة، بعد أن يحولوها إلى آلة يتحكمون فيها كما يريدون، وفي الوقت الذي يبغون. وللوصول إلى الأحكام النافذة القوية، والحلول للمشاكل العويصة، فهم يختارون لها أبالسة لا تعرف للفضيلة اسماً ولا رسماً، ولا للقلوب شفقة أو رحمة. فيهم المسخ والانسلاخ من الانسانية. ولديهم القوة والمنعة من أن يخترق في قلوبهم صوت مظلوم، وأنين مكلوم، ولوعة حزين. فهم أعداء الشعور والأحاسيس، غلاظ الأكباد، ليس لهم مع الانسانية لقاء، ولا مع العاطفة والأخلاق تفاهم أبداً. لديهم قرون يوم يُحتاج إلى التناطح، ولديهم عقول يوم يُحتاج إلى الجدال، ولديهم المخارج يوم يقعون في الشدة والمحاصرة، لأن سيلاً من القوة المزعومة والمال الوفير يمددهم، ومن ورائه سلطة وسلطان قد ترك لهم الحبل على غاربه، ليتفننوا في فتنة أهل الحق، ومن يقف عائقاً أمامهم فيكيلوا له ضرباً وتعذيباً وتحدياً وتهديداً، فيستعملون كل وسيلة ليحققوا مأرب وهدف طواغيتهم. إذن فهم

أداة الإجرام وأهدافهم عدوانية، يعملون ليل نهار على خطط مستدامة لوأد الفضيلة وأهلها ومن يلوذ بها، وأتباع النظام السوري من ضباط وعلماء دين وأصحاب مال ومصالح أكبر مثال على هذا، الذي رأيناه وعاشناه، بل رأينا ما هو أشد وأنكى في هذه الثورة المباركة.

المطلب الثاني المملأ الفاسد

هم أعوان الظلمة الذين تحدث عنهم القرآن الكريم في قصص الأنبياء مع أقوامهم، ومواقف الجدل مع خصومهم من أهل الحق. عندما نقرأ قصة فرعون وقارون، فإننا نقف على مثال للقاتل الفاسد الذي ثبت ملكه على أيدي ملئه وأعوانه الذين اختارهم، وهم يمثلون الفساد السياسي، كما نقف على من ملك فجمع فأوعى من الكنوز التي حصلها نتيجة الفساد المالي، فكانا رمزا الشر والإفساد، والظلم والطغيان في أعلى مظاهره وأبلغ صورته وأشكاله، حتى صارا مثلاً على مر التاريخ. يقال: فلان فرعن، وفلان قورن، أي صار مثل فرعون وقارون في الفساد والطغيان. والقرآن الكريم حينما

يتحدث عن هذا الفساد الرمز، كان في كل مرة يسوق أقوال وحكم الملاء الفاسد، مما يلفت النظر إلى شدة بأس هؤلاء الذين أوصلوا زعماءهم إلى هذه المرتبة التي أوصلوا إليها كل طاغٍ أو سلطان متجبر، أو غنيٍّ متنقِّذ يملك ثروة مكنته من شراء العقول والذمم، ولا ينفك سلطان الحكم عن سلطان المال. وفي كل قصة نبيٍّ أو رسول مع قومه، نلاحظ دور الملاء الذين يتحلَّقون حول أصحاب سلطة الحكم والمال، وهم من يقطع بالرأي المعادي للنبي أو الرسول، وهم من يعمل على إقناع سيِّده فيقوِّي من عزيمته وموقفه ضد الرسول والرسالة، ليحقق وينفذ ما يقولونه، فيهدد ويتوعد، ثم ينفذ حكمه في القتل والتكيل والتشريد تماماً كما يفعل طاغية الشام، امتداداً لما فعله والده العميل، وغيرهما من العملاء أعداء الله ورسوله، وأعداء الدين والإنسانية. وتتشابه أدوات الإجرام مع اختلاف الأدوات والوسائل منذ عصر فرعون وإلى يوم القيامة، إذ الصراع بين الخير والشر، والحق والباطل، والعدل والجور قائم، وسنة من سنن الله تعالى في خلقه. قال أبو عبد الله محمد القرطبي في جامع أحكام القرآن: الملاء: رؤساء السفلة منهم فهم يدعون إلى جهنم.^{١٨}

^{١٨} ٢٨٩/١٣، دار الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٩٦٤.

المطلب الثالث: التصور القرآني للملأ الفاسد

١- يقبلون الحق، ويجعلون باطلهم هو الحق. قال الله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الأعراف: ٦٠ جاء في تفسير الطبري: " وهذا خبر من الله جل ثناؤه، عن جواب مشركي قريش، قوم نوح لنوح، وهم الملأ، والملأ جماعة من الرجال لا امرأة فيهم، قالوا له حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ يعنون في أمر زائل عن الحق." ١٩

١٩٩٩ جامع البيان ٣٩/١٧ تحقيق عبد الله التركي طبعة ٢٠٠١.

٢- يحسون أن الألوهية الواحدة، والربوبية الشاملة، تعني نزع السلطان المعتصب من أيديهم وردهم إلى صاحبه الشرعي، فالباطل لا يطبق مجرد وجود الحق، وحتى يريد الحق أن يعيش في عزلة عن الباطل، تاركاً مصيرهما لفتح الله وقضائه، فإن الباطل لا يقبل منه هذا الموقف بل يتابع في الحق وينازله ويطارده. قال شعيب عليه السلام: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾. الأعراف: ٨٧. ولكنهم لم يقبلوا منه هذه الخطة، ولم يطبقوا رؤية الحق يعيش، ولا رؤية جماعة تدين لله وحده وتخرج عن سلطان الطواغيت، فالمعركة مع الطواغيت مفروضة فرضاً، وإنهم لا يجديهم فتياً أن يتقوها ويتجنبوها، فالطواغيت لن تتركهم حتى يتركوا دينهم كلية ويعودوا إلى ملتهم. فلا مفر من خوض المعركة والصبر عليها. قال شعيب: (أولوا كنا كارهين، قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها). الأعراف: ٨٩.

٣- ينظرون إلى ما هم فيه من المكانة والجاه والسلطان هو حق مستقطع لهم فهم أهله وهم أهل الحظ، وقد أعطاهم الله إياه لأنه رأى فيهم الاستحقاق. قال الله تعالى في سورة سبأ: وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدَّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ فهم وقفوا على صريح كفرهم بالقرآن الكريم وغيره من الشرائع، بكلام كنوا به عن إبطال أحقية الإسلام بدليل فسفطائي فجعلوا كثرة أموالهم وأولادهم حجة على أنهم أهل حظ عند الله. ٢٠.

٤- من صفاتهم نقض العهد، والنكث بالوعد، والتفلت عن الطاعة، والنكوص عن التكليف، وتفرق الكلمة، والتولي عن الحق البين، وهي صفات كل جماعة لا تنضج تربيتها الإيمانية، فهي سمة عامة لا تغيرها إلا التربية الإيمانية العالية الطويلة الأمد، العميقة التأثير.

إن الذي يعرف أنه على الحق، وأن عدوه على الباطل، كما عرف من بني اسرائيل وهم يطلبون أن يبعث الله لهم فيهم ملكاً ليقاتلوا في سبيل الله تعالى، ثم يتولى بعد ذلك عن الجهاد ولا ينهض بتبعية الحق الذي عرفه في وجه الباطل الذي عرفه، إنما هو من الظالمين المجزيين بظلمهم والله عليهم بالظالمين، قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَرَى إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ اِبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيكُمْ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ

٢٠ الظلال ٦/٣ ١٣٠٦ دار الشروق.

أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿البقرة: ٢٤٦﴾.

فساد فرعون وملئه في الحكم، أصبح واضحاً مفضوحاً، ويمكن أن
نلخص معنى الفساد بالمعاني الآتية كما وردت في القواميس والمعاجم
اللغوية: الفساد يعني: التنتن والعطب والبطلان ومجاوزة الحق ومجانبة الحكمة
والمدابرة والقطيعة والاضطراب والخلل والجذب والقحط وإلحاق الضرر
واللهو واللعب، فمجموع هذه المعاني تساوي الفساد. ولو أمعنا النظر في
كل معنى من معاني الفساد لتوصلنا إلى أن الفساد لا يبقى للخير موضعاً،
ويهدم البناء لبنة لبنة سواء على الصعيد المادي أو المعنوي.

فالفساد: نقيض الصلاح، والفساد أيضاً: "كل غي قبيح ويجوز أن
يكون فساد ليس بقبيح كفساد التفاحة بتعنيها ويذهب بذلك إلى أنها
تغيرت عن الحال التي كانت عليها وإذا قلنا فلان فاسد اقتضى ذلك أنه
فاجر وإذا قلت إنه غاو اقتضى فساد المذهب والاعتقاد".

وفي المخصص الفساد: العطب، والفساد: خروج الشيء عن الحالة
اللائقة به، والفساد في الأرض: هيئج الحروب والفتن المستتعبة لزوال
الاستقامة عن أحوال العباد، واختلال أمر المعاش والمعاد"

فهذا نموذج من نماذج الفساد -فرعون وملئه- الذين وقفوا في وجه نبي الله موسى عليه السلام، إنهم بنوا إسرائيل الذين من صفاتهم الخيانة والغدر ونقض العهد والتوريط، ونصب الشرك لمخالفهم.

المطلب الرابع: خلاصة سلوكيات الملأ الفاسد

- ١- تجمّع له شأنٌ مزيّة يتألف من عليّة القوم.
- ٢- يترأسون أقوامهم، والذين من حولهم لميزة يتميزون بها، سواء أكان هذا التمييز نسباً أم مالاً أم جاهاً أم ذكاءً وحنكة وفطنة ومكراً ودهاءً.
- ٣- فيهم هيبة وجلال، وهم عظماء في أعين العامة والخاصة، فهم يقطعون بالرأي ويصدرون عن حجة، صحيحة كانت الحجة أم فاسدة.

٤- فيهم صفة الندالة والسفالة والانحطاط، لأن تصرفاتهم فيها الغلظة والحشونة وفقد الإنسانية مع فساد الفطرة.

٥- ومن أهم ما يمتازون به أن من خالفهم يكذبونه ويسفهونه بل ويحاربونه.

٦- يسرعون في اتهام أهل الحق ليكون لهم مدخلاً في محاربتهم، فهم يبدؤون إعلامياً، إذ الدجالون جاهزون ولديهم التهم حاضرة فيشنون عليهم حرباً كلامية، ثم ينتقلون إلى العنف والتعذيب.

٧- لديهم صفة القيادة والريادة والرياسة فهم في الصف الأول الأمامي دائماً من قومهم وهم الحلقة الأولى لرؤساء القبيلة أو العشيرة، أو الرئاسة العامة للبلاد.

٨- كما أنهم مهندسو صناعة الموت، ولديهم أدوات الإجرام من تعذيب وتنكيل وبمستويات عدة، وهم مصدر الشر والأذى، لديهم طريقة كيل التهم والتلفيق لمن أرادوا جره، ومحاكم التفتيش شاهدة على فعلهم، وتلاميذهم اليوم الذين تنفسوا هذه الثقافة وهضموها جيداً يفعلون الأفاعيل بأهل الحق من المسلمين السنة والواقع أبلج والحق للجلج.

٩- لديهم الاستعداد النفسي ليقوموا بهذا العمل، وفي الغرب غالباً ما يختارون الفاشل واللقيط، ومن تربى في الحانات وأماكن الرذيلة، فيعملون له

دورات ويدربونه على حب الدماء وتقطيع الأوصال، وهذا أصبح مكشوفاً في غالب الدول المتقدمة الذين ينهجون منهج الشيوقراطية بمعنى أنهم وكلاء الرب في الأرض تارة باسم الشيوعية البلشفية ، وأخرى باسم الرأسمالية ، وثالثة باسم القومية الضيقة المؤلفة من العصبية المقيتة والعشائرية صاحبة النفوذ والمال والتي تحميها دول لتصبح ميليشيات لها أجهزة بكل احتياجات أدوات الإجرام بدءاً من الرعامة وانتهاءً بالنفوذ المطلق، وقد تتلمذ على أيديهم من أعدوه ليحكم ويتصدر وينتقونهم من جميع المشارب والاتجاهات، ليسيظروا على الساحة بأكملها فيحتار فيهم الناس، وحاكم سوريا الذي نكل بشعبه، وعمل زيادة على عمل محاكم التفتيش في حماة وسائر المدن السورية المدعو حافظ أسد، والذي خلفه ابنه ربيب الصهيونية المدعو بشار ومن تبعه وأفتى له وساعده من جميع المستويات من المشايخ والتجار والضباط، وهما خير دليل على ما فعلاه بأهل السنة في سورية منذ سبعينيات القرن الماضي وحتى الساعة سنة ألفين وعشرين، ولا زال القتل والتكيل والدمار على أشده.

١٠- يحافظون على العامة بأساليب عدة، فهم دائماً يوجهونهم ويلقون عليهم التعليمات الخاصة، ويلقنونهم الحجج كما ظهر مؤخراً دعاة الدولة الإسلامية في العراق والشام وتبين على وجه التحقيق أنها مخابرات

عالمية لقنت وصنعت بمحافل خاصة. فقد اختير لهذه المهمة قيادات لديهم الحجة والحنكة وهم متخفون تحت أسماء وألقاب، ولديهم صلاحيات عمل دول، يلبسون على العامة ويجرونهم إلى أفكارهم تارة بالترغيب، وأخرى بالترهيب، وقد وقع في شراكتهم بعض قيادات أهل العلم أو أتباعهم، مما سهل مهمتهم في ديار أهل السنة لأنهم الهدف الأول لهم، لتشويه الإسلام وتقطيع أواصره وهدمه بيد أهله، وباسم الإسلام.

وهؤلاء القيادات مقسمون إلى أقسام: منهم العلمي، ومنهم الفني في صناعة المتفجرات، ومنهم الصناعي، ومنهم المهندس والطبيب، والعامل، والعسكري، والقيادات لا تعرف بعضها، ولكن هناك منسق عام، وله طرق التواصل مع من تحته، وأيضاً هناك تحته رئيس مجموعة وكل رُسم له المكان والمهمة التي تناسبه بحيث لا يتضارب مع الآخر، فالموضوع ليس كما يتصور بميلشيات عشوائية، على العكس تماماً فهم شيطنوا أهل الحق ودسوا فيهم من يؤجج نار العداوة بينهم، ودعموا أناساً وأفقروا آخرين، والمسلمون نائمون، وبخاصة أهل السنة فهم من طيبهم يصدقون كل ناعق بدوي خشية إراقة الدماء ولا يدرون ما يدبر ويحاك لهم، كل ذلك ينفذ على أيدي غلاظ الأكباد، خبثاء الطوية، عديمي الرحمة بل الإنسانية، أما الذين تحت أيديهم فهم أصحاب المهن الضعيفة، والنفوس المريضة، والمنبوذون في أهلهم وذويهم

أو ممن يحمل مؤهلات عالية في اختصاصات متنوعة فيدعموهم بالمال،
وينصبوهم ليكونوا زعماء على الشرفاء فتعمى عيونهم وبصائرهم فلا يبصرون
حقاً ولا عدلاً، ولا صغيراً ولا كبيراً، وهؤلاء يكونون في أيديهم كالشعرة،
يتحكّمون فيهم، فهُمْ رهن الإشارة دون إعمال عقولهم.

وهذه الأدوات والصفات التي يحملها هؤلاء موجودة في قوم فرعون
والنمرود وأعداء الأنبياء ملاً الشر، الذين واجهوا الدعوات السماوية بكل
صلف وشدة وحقد، وقد عرضنا إلى سلوكياتهم في قوم فرعون، وقارون،
ونوح، وأصحاب مدين وهود وصالح وعاد ولوط وغيرهم من الأنبياء مع
أقوامهم.

المطلب الخامس: موقف ملاً فرعون من دعوة موسى عليه

السلام

ملاً فرعون هم بطانته وأعدائه وكبراء قومه الذين يعيشون حوله، يزينون
له الباطل ويحببونه إليه، ويظهرون له الحق في صورة الباطل ويكرهونه إليه،
ويتفانون في سبيل ذلك، خشية أن يكشف الحق باطلهم وكذبهم، لأنهم
يعيشون على حساب غيرهم، ويعلمون أنهم لا بقاء لهم إلا مع بقاء الباطل،

وهم في كل زمان ومكان، ومع كل رسول وني وداع ومصلح هم حجر عثرة في سبيل دعوة التوحيد سلاحهم الكذب والنفاق والوشاية بأهل الحق، والتحريض عليهم وتلفيق التهم حوله.

وملاً فرعون من أشد هؤلاء فتنة، وأعظمهم شراً، وباختصار اذكر بعض مواقفهم من دعوة التوحيد التي جاء بها موسى عليه السلام:

١- الاستهزاء والسخرية بموسى ودعوته: وكان ذلك منذ بداية الدعوة حين قابلوا هذه الدعوة بالاستهزاء والازدراء بموسى، وكانوا ينفخون ذلك في فرعون، الذي كان يعتز بهم ويفاخر ويشاورهم في أمر موسى ودعوته. قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ، وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ، وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ بَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ، فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ، فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ، فَلَمَّا أَسْفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ، فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا

لِلْآخِرِينَ﴾. فلقد كان لهؤلاء الملأ الدور الأول في وصول فرعون إلى ما وصل إليه من الطغيان والضلال، ولذلك ترى أنه لا يذكر فرعون إلا معه ذكر الملأ غالباً، لكثرة ملاحظتهم وملازمتهم له.

٢- هم السبب في جمع السحرة حين شاورهم فرعون ظناً منهم أن في ذلك القضاء على موسى ودعوته، لكن الله غالب على أمره، فقد جاءهم عكس ما أرادوا وخططوا، إذ آمن السحرة على مشهد من الناس الذين اجتمعوا لذلك، وهذا ما لم يكن لفرعون وملائته في حسابان.

٣- لم يفكهم ما كان من جمع السحرة وهزيمتهم في ذلك حين أعلن السحرة إسلامهم، بل بالغوا في عداوة موسى عليه السلام ودعوته خوفاً على أنفسهم وطمعاً في مآربهم الدنيئة، فاستعدوا فرعون واستفزوه بأسلوب يعلمون تأثيره عليه، وهو زوال ملكه وسلطانه. قال الله جل شأنه: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآهَتِكَ قَالَ سَنُقَاتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾. لكن موسى تسلح بسلاح لا يغلب وأوصى قومه بذلك: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

المطلب السادس: الشبه بين كبراء المشركين وفرعون

في سورة المزمل درس في المقارنة بين عتاة الطغاة من المشركين وموقفهم من دعوة الرسول ﷺ وبين فرعون وموقفه من دعوة موسى عليه السلام ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ المزمل: ١٥. يا أهل مكة شروع في التخويف بأهوال الدنيا بعد تخويفهم

بأهوال الآخرة رَسُولًا هو محمد ﷺ وكونه مرسلًا إليهم لا ينافي إرساله إلى من عداهم فإن مكة أم القرى فمن أرسل إلى أهل مكة فقد أرسل إلى أهل الدنيا جميعاً ولذا نص الله تعالى عليه بقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ سبأ: ٢٨. ليندفع أوهام أهل الوهم ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان وكذا يشهد على غيركم كما قال تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ النساء: ٤١. ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ المزمل: ١٥ هو موسى عليه السلام. لأن هارون عليه السلام رداً له وتابع، وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه وتخصيص فرعون لأنه من رؤساء أولى النعمة المترفين المتكبرين، فبينه وبين قريش جهة جامعة ومشاهدة حال ومناسبة سريرة ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ المزمل: ١٦. أي فعصى فرعون المعلوم حاله كبيراً وتنعماً، الرسول الذي أرسلناه إليه. ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر محذوف أي إنا أرسلنا إليكم رسولاً فعصيتموه، كما يعرب عنه قوله سبحانه تعالى ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ إرسالاً كائناً ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾. فعصاه بأن جحد رسالته ولم يؤمن به وفي إعادة فرعون والرسول مضطهدين: تفضيغ لشأن عصيانه وإن ذلك لكونه عصيان الرسول لا لكونه عصيان موسى وفي ترك ذكر ملاً فرعون إشارة إلى أن كل واحد منهم كأنه فرعون في نفسه لتمرده فأخذناه بسبب

عصيانه أخذاً وبيلاً، ثقيلاً لا يطاق والوبيل الثقيل الغليظ ومنه الوايل للمطر
العظيم والكلام خارج عن التشبيه.

المبحث الثالث: القيم

المطلب الأول: موسى وقومه (المستضعفون)

القيمة: هنا يراد بها الأخلاق التي وراءها عقيدة ومبادئ، جاءت بها
الأديان السماوية، وطبقها كل نبي مع قومه.

وجاء بها القرآن الكريم، وطبقها رسول الله ﷺ في الواقع، فكانت دستور المسلمين، والأساس الذي يقوم عليه الإسلام في جميع الجوانب عملاً بقوله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق".^{٢١}

وقصة من يمثل القيم الأخلاقية الكريمة التي تبني ولا تهدم، هي قصة نبي الله موسى عليه السلام، وقومه الذين ناصروه ووقفوا في وجه القوة الظالمة المستعلية.

فهم أقوياء في مواقفهم وأهدافهم وإن نظر إليهم المستكبرون على أنهم ضعفاء لا حيلة لهم ولا مال.

فالمتجمع المادي دائماً يقسم نفسه إلى مستكبرين ومستضعفين تبعاً لما يملكون من مال وما يستمتعون به من جاه الحياة المادية وتمتعها وزخرفها. فالمستكبرون: هم أصحاب السلطة والنفوذ ذوو الثروات والأموال.

والمستضعفون: هم الذين لا ينالون من الحياة المادية إلا ما يجعلهم متطلعين إلى الآخرين من المستكبرين طلباً لمعونتهم على سد حاجتهم، ويلهثون في سيرهم في الحياة في سبيل اكتفائهم والمحافظة على بقائهم، والمستضعفون مغلوبون على أمرهم ولكنهم ليسوا ضعفاء في طاقاتهم وإمكاناتهم البشرية بل ربما لديهم من الإمكانيات والطاقات ما يجعلهم أسياداً

^{٢١} أخرجه أحمد برقم (١٩٥٢) وهو حديث صحيح، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٣).

في المجال الإنساني على المستكبرين عليهم، ومن هنا كانت مسؤوليتهم الإنسانية باقية لهم.

والقرآن الكريم إذ يصف كلاً من طبقتي المجتمع المادي الوثني بالظلم، وإذ يقرر المسؤولية الكاملة للطبقة المستضعفة في اختيار ما تعتقد ورفض ما تكره عليه إذ يضع هذا وذاك، يريد للمجتمع البشري أن يكون مجتمعاً إنسانياً صاحب اختيار ومشية تربط بين أفراده في علاقتهم مع بعضهم البعض القيم الإنسانية العليا هي قيم العدل والمساواة في الاعتبار البشري والتواد، وليس مجتمعاً ذا طبقية من المستكبرين والمستضعفين. قال الله تعالى:

﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ، وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

سبأ: ٣١ - ٣٣ فالمستكبرون المتجبرون الطغاة الذين يضللون الناس ويجبرونهم على الكفر، ويستعملونهم في مصالحهم ويستذلونهم، يتنكرون لفعالهم القبيح هذا، وينكرون ويكذبون، فهم يريدون أن يحملوا المستضعفين المسؤولية في عدم إيمانهم بالله سبحانه وتعالى لأن مكر المستكبرين أو

خداعهم أو تضليلهم مهما قوي شأنه لا ينبغي أن يقهر مشيئة الإنسان ولو كان مستضعفاً بسبب أن الجاه والسلطة في يد غيره.

ثم إن تعبير القرآن بالمستكبرين والمستضعفين بدلاً من الكبراء والضعفاء ليفيد: بأن الزعامة بين المستكبرين مصطنعة وليست أصيلة، كما أن ضعف المستضعفين مصطنع ليس أصيلاً.

ولذا زعامة المستكبرين لا تمنحهم قيمة إنسانية كما لا يحول ضعف المستضعفين دون اعتبارهم الإنساني في مباشرتهم المسؤولية الفردية وبالأخص نحو الإيمان بالله تعالى وهدايته.^{٢٢}

المطلب الثاني: القيم ويمثلها (الملا المؤمن)

الملا المؤمن: هم جماعة المؤمنين الذين كانوا حول الأنبياء أو الصالحاء، وهم الذين نهلوا من معين الخير والفضيلة، وعملوا على نشرها مع أنبيائهم

^{٢٢} الدين والدولة ص ٣٢٤ حتى ٣٢٦ بتصرف

وصلحائهم، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٩٠

وقال تعالى: ﴿لِّلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

الحشر: ٨ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ

اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى

عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ الصف: ١٤ وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ

الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ

زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ

فُرْطًا﴾ الكهف: ٢٨. نموذج من الملائم المؤمنين وكيف ثبتهم الله تعالى مع

نبيهم، وانقلابهم الجذري على ملائ الشر ورئيسهم.

المطلب الثالث: الصراع بين الكفر والإيمان

" فقد جرت سنة الله العادلة أن يفتح بالحق بين رسله وبين من كذب

بهم من الأمم، فينصر رسله ومن سار سيرتهم ويجعلهم خلفاء في الأرض،

ويهلك من كذبهم وانحرف عن طريقتهم، ليكون ذلك من آيات الله التي يفصل بها بين الصادق والكاذب والباطل والشريعة العادلة والقوانين الجائرة ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِأَهْدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ القصص: ٣٧ ، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ غافر: ٥١، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ١٢٨ - ١٢٩ "وهكذا سرت الدعوة بين المصريين سريان النور في الظلمة، ومع قوة فرعون الطاغية سرت الدعوة بين الشعب، بل كان من ملاً فرعون نفسه من آمن، ودعا إلى الإيمان، وتجري المجاورة في ربوع مصر حاضرها وريفها، وفرعون يردد ويبرق، ولا مستمع يستمع؛ لأن الحق أبلج، فالله تعالى يقول عنه ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ، وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ

مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ
 الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ، يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ
 الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا
 أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ
 إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ، مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ
 مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ، وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ،
 يَوْمَ تُثَلَّثُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
 هَادٍ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ
 بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ
 هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ، الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا
 عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿
 غافر: ٢٥-٣٤ . استمرت المجاورة بين الذين آمنوا وبين فرعون، وكان
 فرعون ومن معه يصدون عن سبيل الله تعالى، والذين آمنوا يدعون إلى سبيل
 الرشاد ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا
 هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَا
 قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ، تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ

وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقَّارِ، لَا جَرَمَ أَمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ، فَسْتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ، فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿غافر: ٣٨ - ٤٥﴾ استمرت المجاورة بين الحق والباطل في داخل الشعب المصري وبين آل فرعون والمؤمن، ولعله -والعلم لله وحده- أن الذين آمنوا من آل فرعون وأهل مصر عدد قليل؛ كالذين آمنوا بمحمد ﷺ من بعد قد كانوا عددا قليلاً، ومن الضعفاء، فكان لا بد من هجرة موسى من مصر، كما هاجر محمد ﷺ من مكة إلى المدينة، وكان معه الذين اتبعوه بإحسان، ونالهم ما نالهم من الأذى.

المطلب الرابع: إسلام السحرة وتبنيهم القيم

اتهم فرعون موسى عليه السلام بالسحر، واستشار ملاًه في ذلك فأشاروا عليه بجمع السحرة من أنحاء البلاد، وكان السحرة منتشرون فيها،

ثم التقوا بموسى عليه السلام في جمع مشهود، وفرعون يعدهم ويمنيهم، وموسى عليه السلام يعظمهم وينصحهم: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾. ولكنهم لم يستجيبوا، فقد ركبهم ما ركب فرعون من الطغيان. وتقابل الفريقان، وألقى السحرة ما عندهم من باطل، وألقى موسى عصاه بأمر ربه تعالى له، فإذا هي كما قال عز وجل: ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ الأعراف: ١١٧. وحين رأى السحرة ذلك علموا يقينا أن ذلك ليس من صنع البشر ولا من صنع موسى، وإنما هو من الله وحده، عندها أعلنوا إسلامهم لله تعالى وتوحيدهم له وحده لا شريك له، وإيمانهم به، وإذا هم ينتقلون هذه النقطة الكبيرة العظيمة من عبودية فرعون لا إلى عبودية موسى، ولكن إلى عبادة رب موسى سبحانه الذي رأوا آياته تجري على يد موسى عليه السلام، وأعلنوا ذلك على فرعون ومن معه بعد أن خروا ساجدين لله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ طه: ٧٠. وحين جنون فرعون، إذ جاءته الهزيمة من حيث أراد النصر، وقبل أن يتهدد ويتوعد يعلن السحرة تحديهم لذلك وثباتهم أمامه. قال ابن عباس وعبيد بن عمير: "كانوا أول النهار سحرة، وآخره شهداء بررة. قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى، قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى،

فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى، قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿طه: ٥٦ - ٥٩. لقد كان هذا أول انتصار لدعوة التوحيد التي جاء بها موسى عليه السلام، وأول هزيمة لشرك فرعون وكفره أمام ملائته، وعلى مرأى ومسمع كثير من الناس الذين جمعهم لشهود هذه المناظرة التي كان جازما أنها لصالحه، وكان يتمنى لو أن ما فعله السحرة تم بإذنه، أو بعيداً عن أعين الناس، كما يفهم ذلك من قوله: ﴿قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ﴾ طه: ٧١. ثم اتهم السحرة بالاتفاق مع موسى عليه السلام على ما حدث، وهو أمر مرفوض، إذ لم يكن موسى على معرفة ولا صلة بهم، إنما هذه التهم من فرعون حين أسقط في يده بإسلام السحرة. - فمرة يعتب عليهم أنهم آمنوا قبل إذنه. - ومرة يتهمهم بتأمرهم مع موسى عليه السلام. - ثم يرجع إلى تهديده ووعيده. كل ذلك ليخفف على نفسه وقع الهزيمة المرة، ووقع المصيبة العظيمة، كما هو شأن الطغاة، إذا تكشف باطلهم وانفضح طغيانهم. - وكان إيمان السحرة مدعاة لافتح فرعون، لأنهم كانوا علماء لهم مكانتهم، فكان لإيمانهم ضجة كبرى، أحدثت في حاشية فرعون هزة عفيفة، وزلزالا كبيراً ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ، وَإِنَّهُمْ لَنَا لِعَائِتُونَ، وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ الشعراء: ٥٣ - ٥٦ ولكن العبرة ليست

بالكثرة أو القلة، بل باتباع الحق، فأتباع الحق هم الأكثرون ولو كانوا قليلي العدد، وهم الجماعة ولو كان واحداً. ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ الأعراف: ١١١ أي قال من حضر مناظرة موسى من عقلاء ملاء فرعون وأشرافه قيل: ولم يكن يجالس فرعون ولد غيبة، وإنما كانوا أشرافاً ولذلك أشاروا عليه بالإرجاء ولم يشيروا بالقتل وقالوا: إن قتلته دخلت على الناس شبهة ولكن اغلبه بالحجة وقيل المعنى: احبسه، ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ الأعراف: ١١١ - ١١٢. المدائن: مدائن مصر وقرها والحاشرون: قال ابن عباس: هم أصحاب الشرط، وقال محمد بن إسحاق: لما رأى فرعون من آيات الله عز وجل ما رأى قال: لن تغالب موسى إلا بمن هو منه فاتخذ غلماناً^{٢٣} ﴿فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ، وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ، فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ يونس: ٨٣ - ٨٦. الظاهر في الفاء من حيث أن مدلولها التعقيب أن هذا الإيمان الصادر من الذرية لم يتأخر عن قصة

^{٢٣} البحر المحيط في التفسير ١٣٥/٥ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان
أثير الدين الأندلس

الإلقاء. والظاهر أن الضمير في قومه عائد على موسى، وأنه لا يعود على فرعون، لأن موسى هو المحدث عنه في هذه الآية، وهو أقرب مذكور. ولأنه لو كان عائدا على فرعون لم يظهر لفظ فرعون، وكان التركيب على خوف منه. ومن ملئهم أن يفتنهم، وهذا الإيمان من الذرية كان أول مبعثه إذ قد آمن به بنو إسرائيل قومه كلهم، كان أولا دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون، وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف.

وقال مجاهد والأعمش^{٢٤}: معنى الآية أن قوماً أدركهم موسى ولم يؤمنوا، وإنما آمن ذراريهم بعد هلاكهم لطول الزمن. قال ابن عطية: وهذا قول غير صحيح، إذا آمن قوم بعد موت آبائهم، فلا معنى لتخصيصهم باسم الذرية. وأيضا فما روي من أخبار بني إسرائيل لا يعطي هذا، وينفيه قوله: فما آمن، لأنه يعطي تقليل المؤمنين به، لأنه نفى الإيمان ثم أوجبه لبعضهم، ولو كان الأكثر مؤمنا لأوجب الإيمان أولا ثم نفاه عن الأقل، وعلى هذا الوجه يتخرج قول ابن عباس في الذرية: إنه القليل، إلا أنه أراد أن لفظ الذرية بمعنى القليل كما ظن مكّي وغيره. وقالت فرقة: إنما سماهم ذرية لأن أمهاتهم كانت من بني إسرائيل، وإماؤهم من القبط، رواه عكرمة عن ابن عباس: فكان يقال لهم الذرية كما قيل لفرس اليمن الأبناء، وهم الفرس المنتقلون

^{٢٤} تفسير البحر المحيط ١٣٦/٥.

مع وهوز بسعاية سيف بن ذي يزن. وممن ذهب إلى أن الضمير في قومه على موسى: ابن عباس قال: وكانوا ستمائة ألف، وذلك أن يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثنين وسبعين نفساً، فتوالدوا بمصر حتى صاروا ستمائة ألف. وقيل: الضمير في قومه يعود على فرعون، روي أنه آمنت زوجة فرعون وخازنه وامرأة خازنه وشباب من قومه. قال ابن عباس أيضاً: والسحرة أيضاً، فإنهم معدودون في قوم فرعون. وقال السدي: كانوا سبعين أهل بيت من قوم فرعون. قال ابن عطية: ومما يضعف عود الضمير على موسى عليه السلام أن المعروف من أخبار بني إسرائيل أنهم كانوا قوماً قد فشت فيهم السوات، وكانوا في مدة فرعون قد نالهم ذل مفرط، وقد رجوا كشفه على يد مولود يخرج فيهم يكون نبياً، فلما جاءهم موسى عليه السلام أصفقوا عليه وبايعوه، ولم يحفظ قط أن طائفة من بني إسرائيل كفرت به، فكيف تعطي هذه الآية أن الأقل منهم كان الذي آمن، فالذي يترجح بحسب هذا أن الضمير عائد على فرعون. ويؤيد ذلك أيضاً ما تقدم من محاوره موسى ورده عليهم، وتوبيخهم على قولهم هذا سحر، فذكر الله ذلك عنهم ثم قال: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ الذي هذه أقوالهم. ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ، قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ». لما رأى السحرة من عظيم القدرة ما تيقنوا به نبوة موسى، آمنوا بقلوبهم، وانضاف إلى ذلك الاستهوال والاستعظام والفرع من قدرة الله عز وجل، فخروا لله سبحانه متطارحين قائلين بألسنتهم: ﴿أَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾.

قال: وهارون أخو موسى أسن منه بثلاث سنين، وقول فرعون: ﴿أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَا لَكُمْ﴾ دليل على وهنه، وضعف أمره لأنه إنما جعل ذنبهم عدم إذنه، والضمير في به: يحتمل أن يعود على اسم الله سبحانه، ويحتمل أن يعود على موسى عليه السلام، وعنفهم فرعون على الإيمان قبل إذنه، ثم ألزمهم أن هذا كان عن اتفاق منهم، وروي في ذلك عن ابن عباس، وابن مسعود، أن موسى اجتمع مع رئيس السحرة، واسمه شمعون، فقال له موسى: أرايت إن غلبتكم أتؤمنون بي، فقال: نعم، فعلم بذلك فرعون فلهدا قال: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾، ثم توعدهم. وقوله سبحانه: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ، وَمَا نُنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا...﴾. الآية: هذا استسلام من مؤمني السحرة، واتكال على الله سبحانه، وثقة بما عنده، وقرأ الجمهور: تنقم - بكسر القاف -، ومعناه: وما تعد علينا ذنباً تؤاخذنا به إلا أن آمنا، قال ابن عباس وغيره فيهم:

أصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء، قال ابن عباس: لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل، وقول ملاً فرعون: ﴿أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ...﴾ الآية: مقالة تتضمن إغراء فرعون وتحريضه، وقولهم: ﴿وَيَذْرَكَ وَأَهْلَتِكَ﴾، روي أن فرعون كان في زمنه للناس آلهة من بقر، وأصنام، وغير ذلك، وكان فرعون قد شرع ذلك، وجعل نفسه الإله الأعلى فقوله على هذا ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ النازعات: ٢٤ إنما يريد: بالنسبة إلى تلك المعبودات. وقيل: إن فرعون كان يعبد حجراً يعلقه في صدره. كأنه ياقوتة أو نحوها، وعن الحسن نحوه، وقوله: ﴿سَنُقَاتِلُ أِبْنَاءَهُمْ﴾، المعنى: سنستمر على ما كنا عليه من تعذيبهم، وقوله: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ﴾، يريد: في المنزلة، والتمكن من الدنيا، وقاهرون: يقتضي تحقير أمرهم، أي: هم أقل من أن يهتم بهم.

وهذا من عدو الله تجلد، وإلا فقد قال فيما أخبر الله سبحانه به عنه: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ، وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ، وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ الشعراء: ٥٤، ٥٥، ٥٦.

الفصل الثالث: الفساد المالي (الاقتصادي)

المبحث الأول: في سورة هود (مصطلحات ومفاهيم)

المطلب الأول: مقاصد وموضوعات سورة هود

س- من أهم مقاصد سورة هود:

- تثبيت النبي ﷺ وتسليته.

س- ما هي موضوعات سورة هود؟

من أهمّ الموضوعات التي اشتملت عليها سورة هود: -التنويه بشأن القرآن، وإقامة الأدلة على أنه من عند الله. -بيان أنّ الله سبحانه مُطَّلِعٌ على سرائر الخلق وضمائهم، وأنه ضمّن الأرزاق للمخلوقات. -إثبات البعث والجزاء. -بيان أحوال الناس في الشدة والرخاء. - تثبيت النبي ﷺ وتسلية عمّا يقوله المشركون وما يفترحونه من آيات. -بيان حال فريق الكافرين، وفريق المؤمنين، وضرب المثل لهما. ذكر بعض قصص الأنبياء، وتفصيل بعض أحداثها، وما جرى لهم مع أقوامهم، ومن ذلك قصة نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى - عليهم صلوات الله وسلامه.

الإرشاد إلى ما يوجب السعادة؛ كالاتقامة على الدين، وعدم

الركون إلى الظالمين، وإقامة الصلاة.

-بيان الفائدة من القصص، وذكر أنباء الرسل؛ من تثبيت قلب

النبي ﷺ

خُتِمَت السُّورَةُ بِالْأَمْرِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ فِي كُلِّ حَالٍ .

نورد في هذا الفصل أهم المصطلحات التي تعنى باستغلال المصادر والموارد المالية استغلالاً فاسداً، ونوضح معنى الاقتصاد في الإسلام. ففي تعريفها نطلع على مجمل قضايا الفساد المالي، والذي غالباً ما يكون بسبب الطغيان قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ أَلَمْ يَرَ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ العلق: ٦-٧ .

وفي المقابل فإن المال في يد من يؤدي حقه نعمة كبرى ومكسب كبير. فعن عمرو بن العاص قال: " بعث إلي رسول الله ﷺ عام ذات السلاسل فقال: خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم اثني، فأتيته وهو يتوضأ، فصعد في النظر ثم طأطأه ثم قال: يا عمرو، إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة، فقلت: يا رسول الله، إني ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله فقال: " يا عمرو، نعم المال الصالح للمرء الصالح " .^{٢٥}

ومن هذه المصطلحات: " المال، الكسب، الإسراف والتبذير، الجشع والطمع، الطغيان. قطع الطريق. "

^{٢٥} أخرجه أحمد برقم. (١٧٧٨٩) وإسناده صحيح.

المطلب الثاني: المال

يطلق المال في اللغة ويراد به معنى عاماً وهو: كل ما يقع عليه الملك من جميع الأشياء. قال ابن منظور: المال، ما ملكته من جميع الأشياء. وتطلق العرب المال وتريد به معنى خاصاً تحدده القرائن فيطلقونه ويريدونه الصامت من الذهب والفضة ثم أطلق على ما يقتنى.^{٢٦} أما معنى المال في

^{٢٦} لسان العرب ١١/٦٣٥ وانظر قاموس المحيط ١٠/٣٥٨

الاصطلاح الاقتصادي: فهو كل ما ينتفع به على وجه من وجوه النفع، كما يعد كل ما يقوّم بثمن مالياً أياً كان نوعه أو قيمته، فكل شيء يمكن أن يعرض في السوق وتقدر له قيمة فهو مال.^{٢٧} والمال من أوجه أسباب الظلم والطغيان، والأداة الأكثر فتكاً وسبباً بارزاً في الشر والفساد والاستبداد.

وحب المال: فطرة فطر الله خلقه عليه، قال الله تعالى: (وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) الفجر: ١٨-١٩.

ولما كانت النفس الأمارة بالسوء لا تصمد أمام رؤية المال، ومحاوله جمعه مما حل أو حرم، ضبط الإسلام علاقة الناس مع بعضهم، وشرع أحكام البيع والشراء والحقوق والميراث، ليكون كسب المسلم كسباً حلالاً. فما تعريف الكسب وما الفرق بينه وبين الرزق؟ هذا ما ايبنه في المبحث التالي.

المطلب الثالث: الكسب

تعريف الكسب في اللغة: قال ابن منظور: "كسب، الكسب: طلب الرزق، وأصله الجمع. وقال سيبويه: كسب أصاب، واكتسب: تصرف واجتهد. والكسب: الطلب والسعي في طلب الرزق والمعيشة؛ وأراد بالطيب

^{٢٧} المال وطرق استثماره في الإسلام د. شوقي عبده الساهي ص ٢٣.

هاهنا الحلال؛ ونفقة الوالدين واجبة على الولد إذا كانا محتاجين عاجزين عن السعي، وعند الشافعي، وغيره لا يشترط ذلك. وفي حديث خديجة: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم. قال ابن الأثير: يقال: كسبت زيداً مالا، وأكسبت زيداً مالا أي أعتته على كسبه، أو جعلته يكسبه، فإن كان من الأول، فتريد أنك تصل إلى كل معدوم وتناله، فلا يتعذر لبعده عليك، وإن جعلته متعدياً إلى اثنين، فتريد أنك تعطي الناس الشيء المعدوم عندهم، وتوصله إليهم. قال: وهذا أولى القولين، لأنه أشبه بما قبله، في باب التفضل والإنعام، إذ لا إنعام في أن يكسب هو لنفسه مالا كان معدوماً عنده، وإنما الإنعام أن يوليه غيره^{٢٨}. والكسب الحلال في الاقتصاد الإسلامي، قائم على المعاملات المالية الحلال والله لا يقبل إلا طيباً، بمعنى يلاحظ في الكسب عدم الاستغلال، والبعد عن التعاملات الربوية من غرر وغش وربا وغيرها من البيوع المحرمة لأنه ينجم عنها ظلم وفساد واستغلال ونزاع وخصومة وتفكك. والمحرمات خبائث والله تعالى يقول: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ الأعراف: ١٥٧. من غبن واحتكار وهدر.

^{٢٨} لسان العرب ١/٧١٦

الرزق: اسم لما يملك صاحبه الانتفاع به فلا يجوز منازعته فيه لكونه حلالاً له ". فالرزق هو ما قسمه الله تعالى له، لذلك يسعى المرء المؤمن ليجلبه من حله.

وقال العسكري في الفروق: " ويجوز أن يكون ما يغتذيه الإنسان حلالاً وحراماً إذ ليس كل ما يغتذيه الإنسان رزقاً له ألا ترى أنه يجوز أن يغتذي بالسرقة وليست السرقة رزقاً للشارق، ولو كانت رزقاً له لم يذم عليها وعلى النفقة منها بل كان يحمد على ذلك والله تعالى مدح المؤمنين بإنفاقهم في قوله تعالى (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) البقرة: ٣. ٢٩ "

المطلب الرابع: الإسراف والتبذير

"السرف: تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ الفرقان:

^{٢٩} لفروق اللغوية ١/١٦٧، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ).

٦٧، ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ النساء: ٦، ويقال تارة اعتباراً بالقدر، وتارة بالكيفية، ولهذا قال سفيان: "ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف، وإن كان قليلاً". قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأنعام: ١٤١، ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ غافر: ٤٣، أي: المتجاوزين الحد في أمورهم، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ غافر: ٢٨، وسمي قوم لوط مسرفين، من حيث إنهم تعدوا في وضع البذر في الحرث المخصوص له المعني بقوله: ﴿نِسَاءُكُمْ حَرَثٌ لَكُمْ﴾ البقرة: ٢٢٣، وقوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الزمر: ٥٣، فتناول الإسراف في المال، وفي غيره^{٣٠}. و"المعنى اللغوي للإسراف هو مجاوزة الحد"^{٣١}.

وقد ذكر القليوبي هذا المعنى اللغوي في تعريفه للإسراف، ولكن بعض العلماء خص استعمال الإسراف بالنفقة والأكل. يقول الجرجاني في تعريفاته: الإسراف تجاوز الحد في النفقة. وقيل: أن يأكل الرجل ما لا يحل له، أو يأكل ما يحل له فوق الاعتدال ومقدار الحاجة. وقيل: الإسراف تجاوز الكمية فهو جهل بمقادير الحقوق. وقيل: هو إنفاق الكثير في الغرض

^{٣٠} المفردات في غريب القرآن ص ٤٠٨

^{٣١} لسان العرب ٤٨/١١

الحسيس. ومما سبق نستطيع القول: إن الإسراف هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان أو قول وإن كان في الإنفاق أشهر^{٣٢}. وكما يكون الإسراف في الشر يكون في الخير، كمن تصدق بجميع ماله كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأنعام ١٤١ والإسراف كما يكون من الغني، فقد يكون من الفقير أيضا، لأنه أمر نسبي. والإسراف يكون تارة بالقدر، ويكون تارة بالكيفية، ولهذا قال سفيان الثوري: " ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف، وإن كان قليلا " ^{٣٣} ، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنه: " من أنفق درهما في غير حقه فهو سرف " ^{٣٤}. الإسراف والتبذير: التبذير هو تفريق المال وإنفاقه في السرف. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ الإسراء: ٢٦. وخصه بعضهم بإنفاق المال في المعاصي، وتفريقه في غير حق ^{٣٥}.

^{٣٢} القليوبي (حاشية منهاج الطالبين) ٣ / ٢٤٨ دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي. وابن

عابدين (حاشية رد المختار) ٥ / ٤٨، والجرجاني (التعريفات) ص ٣٨.

^{٣٣} المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٠

^{٣٤} القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ١٣ / ٧٢ دار الكتاب العربي - القاهرة - طبعة ١٩٨٧

^{٣٥} لسان العرب ٤ / ٥٠

ويعرف بعض الفقهاء التبذير بأنه: عدم إحسان التصرف في المال،
وصرفه فيما لا ينبغي، وأما صرف المال إلى وجوه البر فليس بتبذير، وصرفه
في الأطعمة النفيسة التي لا تليق بحاله تبذير^{٣٦}.

وعلى هذا فالتبذير أخص من الإسراف؛ لأن التبذير يستعمل في
إنفاق المال في السرف أو المعاصي، أو في غير حق، والإسراف أعم من
ذلك، لأنه مجاوزة الحد، سواء أكان في الأموال أم في غيرها، كما يستعمل
الإسراف في الإفراط في الكلام أو القتل وغيرهما.

وقد فرق ابن عابدين بين الإسراف والتبذير من جهة أخرى، فقال:
" التبذير يستعمل في المشهور بمعنى الإسراف، والتحقيق أن بينهما فرقاً،
وهو أن الإسراف: صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي، والتبذير:
صرف الشيء فيما لا ينبغي"^{٣٧}.

ومثله ما جاء في أدب الدنيا والدين " والتبذير: الجهل بمواقع الحقوق،
والسرف الجهل بمقادير الحقوق"^{٣٨}.

^{٣٦} النووي (تحرير ألفاظ التنبيه) ص ٢٠٠ تحقيق: عبد الغني الدرهم دار القلم، دمشق، ١٤٠٨.

^{٣٧} ابن عابدين (حاشية رد المختار) ٤٨٤/٥.

^{٣٨} أبو الحسن الماوردي (أدب الدنيا والدين) ص ١٨٧ تحقيق مصطفى السقا، دار الكتب
العلمية، بيروت ١٣٩٨ هـ.

ويقول الراغب الأصفهاني: " إن التبذير في الحقيقة أقبح من الإسراف؛ لأن بجانبه حقاً مضيعاً، ولأنه يؤدي بصاحبه إلى أن يظلم غيره، ولهذا قيل إن المبذر أقبح؛ لأنه جاهل بمقدار المال الذي هو سبب استبقاء الناس " ^{٣٩}. وعليه، فإن الإسراف والتبذير بينهما علاقة عموم وخصوص، تخضع لقاعدة " إذا اجتمعا اتفقا، وإذا افترقا اختلفا " ^{٤٠}.

^{٣٩} الراغب الأصفهاني (الذريعة إلى مكارم الشريعة) ص ٢١٦ مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة-

١٣٩٣هـ.

^{٤٠} وانظر مقال د. زيد بن محمد الرماني

المطلب الخامس: الطمع والجشع

معنى الطَّمَع لغةً: طَمِعَ طَمَعًا وطَمَاعَةً وطَمَاعِيَةً مخفف، فهو طامِعٌ،
وإنه لَطَمِعٌ: حريص، والطَّمَاع: الكثير الطَّمَع. والطَّمَع: الأمل والرجاء،
وأكثر ما يُسْتَعْمَل فيما يقرب حُصُوله. ويتعدى بالهمزة فيقال: أطمعته.

وأصل هذه المادة يَدُّ على رجاء في القلب قويٍّ للشيء^{٤١}

معنى الطَّمَع اصطلاحًا: قال الراغب: "نزوع النفس إلى الشيء شهوةً
له، طمعت أطمع طمعاً وطماعية فهو طمع وطماع ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الرعد:
١٢، وطمع فيه: اشتهاه ورغب فيه وحرص عليه"^{٤٢}. "وقال المناوي:
الطَّمَع تعلقُ البال بالشيء من غير تقدُّم سبب له. وقال العضد: الطَّمَع
ذل ينشأ من الحرص، والبطالة، والجهل بحكمة الباري"^{٤٣}.

أما الجشع: فهو أسوأ الحرص. قال في لسان العرب: "أسوأ الحرص،
وقيل: هو أشد الحرص على الأكل وغيره، وقيل: هو أن تأخذ نصيبك
وتطمع في نصيب غيرك. والجشع: المتخلق بالباطل وما ليس فيه"^{٤٤}.

^{٤١} a (كتاب العين) للخليل بن أحمد ٢/٢٧، (مقاييس اللغة) لابن فارس ٣/٤٢٥.

^{٤٢} المفردات في غريب القرآن ص ٥٢٤.

^{٤٣} التوقيف على مهمات التعاريف ص ٢٢٨. لزين الدين المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ).

^{٤٤} ص ١٢٤

المطلب السادس: الطغيان

في اللغة: قال ابن فارس: هو مجاوزة الحد في العصيان^{٤٥}، وكلّ شيء يجاوز الحد فقد طغى، مثلما طغى الماء على قوم نوح قال سبحانه (إنّ لما طغى الماء حملناكم الجارية). الحاقة: ١١.

الطغيان في الاستعمال القرآني:

وردت كلمة (طغى) ومشتقاتها في تسعة وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم، وبصيغ وتصريفات مختلفة: (طغى، يطغى، أظغى، تطغوا، طغوا، أظغيته، طغيان، طغوى، طاغية، طاغوت، طاغين، طاغون). ويمكن القول بأن هذه المعاني يجمعها شيء واحد وهو: المعنى اللغوي: "مجاوزة الحد" لكلمة الطُّغيان، مع عدم إغفال السياق القرآني الذي يضيف معاني جديدة على الكلمات أثناء البحث والتحقيق. وأما استعمالات القرآن لها، فقد ذكر ابن سلام وغيره أنّ الطُّغيان في القرآن الكريم على أربعة أوجه: ^{٤٦}

١. الطُّغيان بمعنى الضلالة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي

طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ البقرة: ١٥.

^{٤٥} معجم مقاييس اللغة ٣/ ٤١٢ لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى:

٣٩٥هـ) - تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

^{٤٦} موسوعة نضرة النعيم.

٢ . الطَّغْيَانُ بمعنى العصيان، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ طه: ٢٤ .

٣ . الطَّغْيَانُ بمعنى الارتفاع والتكبر، وذلك كما قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ الحاقة: ١١ .

٤ . الطَّغْيَانُ بمعنى الظلم، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ النجم: ١٧، وقوله سبحانه: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ الرحمن: ٨ .

سادساً-أما الطَّاغُوت فقد أوردت له كتب الوجوه والتظائر المعاني الآتية: الطَّاغُوت يراد به الشَّيْطَان، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ البقرة: ٢٥٦ .. الطَّاغُوت يراد به الأوثان التي تعبد من دون الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل: ٣٦ .. الطَّاغُوت يعني به كعب بن الأشرف اليهودي وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ﴾ النساء: ٥١ .

سابعاً-قطع الطريق: تعريف قطع الطريق لغة: جاء في القاموس الوسيط " (القاطع) المثال الذي يقطع عليه الجلد أو الثوب يقال قطع الأديم على القاطع ويقال سيف قاطع ماض وكلام قاطع نافذ ولبن قاطع حامض

وفلان قاطع الطريق لص يتربص المارة في الطريق ليأخذ ما معهم بالإكراه
(ج) قطع وقطاع يقال هم قطع الطريق وقطاع الطريق. " وقطع السبيل:
قطع الطريق، أي التصدي للمارين فيه بأخذ أموالهم، أو قتل أنفسهم، أو
إكراههم على الفاحشة، وكان قوم لوط يقعدون بالطرق ليأخذوا من المارة
من يختارونه. فقطع السبيل فساد في ذاته وهو أفسد في هذا المقصد."

المبحث الثاني: الفساد المالي

المطلب الأول: مفهوم الفساد المالي

أولاً- المال عصب الحياة وعمودها فلا قيام لها إلا به، وبه قيام المعاش وصلاح الدين، وقد فرض الإسلام أموراً للمحافظة عليه، وأوجب حسن توزيعه وطرق استثماره، وحث على كسب الحلال وحرم أموراً للمحافظة عليه، فحرم إضاعته، وتبذيره، وإعطاءه للسفهاء، وفرض عقوبات و ضمانات على من يهدره، أو يسرقه، أو يصرفه في غير مصارفه الشرعية، إذ من شأن ذلك أن يؤثر على الفرد والمجتمع.

ثانياً- تعريف الفساد المالي: الفساد ضد الصلاح والمفسدة ضد المصلحة، وهي الضرر يقال هذا الأمر مفسدٌ لكذا، فيه فساد أو ما يؤدي إلى الفساد من هو ولعب ونحوهما وهي جمع مفاسد. قال أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة ... مفسدة للمرء أي مفسدة

والفساد: هو التلف والعطب والاضرار والخلل والجذب والقحط. وفي التنزيل ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم: ٤١. وأيضاً إحقاق الضرر قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ المائة: ٣٣.

فالفساد: استغلال أو إهمال للقانون للحصول على مكاسب مادية أو معنوية على حساب الفرد والمجتمع فهو انتهاج طرق ملتوية، وجلب للأموال من طرق غير مشروعة أو إنفاقها في غير الطرق المشروعة. **والفساد:** هو اعتداء على حق المواطن الذي يضمنه الدين والقانون الطبيعي والوضعي والإنساني. ولا ينحصر الفساد بتراكم ثروة بطريقة غير شرعية أو قانونية إنما يتجاوز ذلك. والفساد يشمل ضرره الاقتصادي والسياسي والأخلاقي والاجتماعي والنفسي. وهناك فساد دولي ومحلي، وقطاع عام وقطاع خاص في الشؤون المحلية كما أن هناك فساد إداري وقضائي.

المطلب الثاني: أسباب الفساد المالي

هناك أسباب كثيرة متضافرة للفساد المالي ومن أهمها:

- ١- ضعف الوازع الديني: لأنه أساس كل فضيلة وسبب البعد عن كل رذيلة حيث ينطلق الفاسد خلف مصالحه وشهواته وميوله من غير رادع من خلق ولا دين.
- ٢- الفساد الإداري: فهو يشكل الحاضنة لتفريخ الفاسدين والفساد بأشكاله المختلفة.
- ٣- ضعف مدخول الموظف مما يشجع على الرشوة والانحراف والاستعباد.
- ٤- البيروقراطية^{٤٧} المعقدة التي تؤدي إلى إعاقة وتعطيل مصالح العملاء.
- ٥- ضعف الرقابة العامة وفساد العاملين في أجهزة الرقابة.

^{٤٧} البيروقراطية تعني نظام الحكم القائم في دولة ما يُشرف عليها ويوجهها ويديرها طبقة من كبار الموظفين الحريصين على استمرار وبقاء نظام الحكم لارتباطه بمصالحهم الشخصية؛ حتى يصبحوا جزءاً منه ويصبح النظام جزءاً منهم، فينتج عن ذلك: - الروتين: -؛ وبهذا فهي تعتبر نقياً للثورية، حيث تنتهي معها روح المبادرة والإبداع وتنتلشى فاعلية الاجتهاد المنتجة انظر: (المعجم الوسيط)

المطلب الثالث: مظاهر الفساد المالي

١- السرقة: قال ابن فارس: "سَرَقَ السين والراء والقاف أصلٌ يدلُّ على أخذ شيء في خفاءٍ وسِتْرٍ"^{٤٨}. ومن أبرز الطرق في أخذ المال ظلماً سوى طريقة الاستتار ما يلي:

أ- الاختلاس: والمختلس هو: الذي يخطف المال بحضرة صاحبه في غفلته، ويذهب بسرعة جهرة، سواء كان مجيئه سراً أو جهراً^{٤٩}، وبعض الفقهاء قال بأن المختلس يأتي خفية ويذهب جهرة^{٥٠}، والأول أظهر، فيلحظ في المختلس حضور صاحب المال عنده، إلا أنه يُستغفل من قبل المختلس حتى إذا تمكن من أخذه وتناوله لاذ بالفرار.

ب- الإلتِهَابُ: والمنتهب: هو الذي يأخذ على وجه العلانية قهراً من بلدة أو قرية^{٥١} والفرق بين المختلس والمنتهب: أن كلاهما فيه أخذ الشيء

^{٤٨} مقاييس اللغة، ابن فارس مادة سرق، ٣ / ١٢٠.

^{٤٩} تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٩ / ١٤٧، حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٣/٢٨٢.

^{٥٠} حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ٢/٣٣٣.

^{٥١} تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٩ / ١٤٧، العناية شرح الهداية، الباري ٥/٣٧٣.

علانية، إلا أن سُرْعَةَ الأخذِ في جانب الاختلاس معتبر فيه، بخلاف النهب فإن سرعة الأخذ غير معتبر فيه؛ لاعتماده على القوة والغلبة^{٥٢}.

ج- الخيانة: والخائن: هو أن يخون المودع ما في يده من أمانة^{٥٣}. والذي يجدر التنبيه إليه في هذا البحث أن جميع هذه المصطلحات الاختلاس، والانتهاب، والخيانة غير داخله في مسمى السرقة بالاصطلاح الشرعي الموجب للقطع، ولا يعني عدم دخولها بقاء مرتكبيها دون عقوبة تعزيرية رادعة.

٢- قبول الرشوة والهدية: من المعلوم بأن تعريف الرشوة: " وهي ما يؤخذ بغير عوض ويُعاب أخذه. وقال ابن العربي: " الرشوة كل مال دفع لبيتاع به من ذي جاه عوناً على ما لا يحل والمرتشي قابضه والراشي معطيه والرائش الواسطة"^{٥٤}. قال الأمير الصنعاني: " والراشي هو الذي يبذل المال ليتوصل به إلى الباطل مأخوذ من الرشا وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء في البئر"^{٥٥}. وقال أيضاً: " وفي النهاية لابن الأثير قال: الراشي مَنْ يعطي الذي يعينه على الباطل والمرتشي الآخذ والرائش هو الذي يمشي بينهما

^{٥٢} حاشية رد المحتار على الدر المختار حاشية ابن عابدين ٤/٩٤.

^{٥٣} العناية شرح الهداية، البارقي ٥/٣٧٣، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٩ / ١٤٧.

^{٥٤} (فتح الباري) لابن حجر العسقلاني ٥/٢٢١

^{٥٥} سبل السلام ٢/٤٣

وهو السفير بين الدافع والآخذ. وإن لم يأخذ على سفارته أجراً فإن أخذ فهو أبلغ أي بالإثم والحرمة"^{٥٦}. وفيما يتعلق بأخذ الهدية من غير وجه حق من قبل العامل الذي يتقاضى أجراً على عمله فقد ذكر النبي ﷺ صورة للعامل المأجور الذي يأخذ مالاً على سبيل الهدية محذراً ومتوعداً. جاء في الحديث الشريف عن أبي حميد الساعدي، قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأُسُد، يقال له: ابن اللثبية قال عمرو: وابن أبي عمر على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا لي، أهدي لي، قال: فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: " ما بال عامل أبعثه، فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي لي، أفلا قعد في بيت أبيه، أو في بيت أمه، حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر "، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه، ثم قال: «اللهم، هل بلغت؟» مرتين.^{٥٧}

٣- المحسوبية والمحاباة: المحسوبية: أي تنفيذ أعمال لصالح فرد أو جهة ينتمي لها الشخص مثل حزب أو عائلة أو منطقة، دون أن يكونوا

^{٥٦} سبل السلام ٤/١٢٤

^{٥٧} صحيح مسلم ١٨٣٢

مستحقين لها. والمحابة: أي تفضيل جهة على أخرى في الخدمة بغير حق للحصول على مصالح معينة.

المطلب الرابع: أثر الفساد على الفرد والمجتمع

أ- إهدار حقوق ذوي الكفاءات: حيث تتعطل الابتكارات والاختراعات، وتقل الجودة في الصناعة والزراعة والثقافة وفي المجتمع كاملاً، مما يعرضه للانهيار فيحقد المفكر والمثقف على ذلك الذي يستلم زمام الأمور، ويتحكم في القرار من هو أقل خبرة على حساب أهل الخبرة والكفاءة. وهذه أداة مهمة من أدوات المفسدين الذين يستلمون قيادة البلاد، ويحكمون ويتحكمون في مصير الأمة.

ب- الإحساس بالظلم والإحباط والقهر: حيث يسود المجتمع الإحباط والسامة أكثر ويسود القوم أرذلهم وأحطهم، فتنشب الخلافات وتكثر المشاكل وتعطل الحركة، وتنشأ الطبقات المتفاوتة إما معدوماً، وإما طاغياً مسرفاً.

ج- ضعف الانتماء: عندما ينعدم في المجتمع العدالة، ويكون صاحب القرار جاهل فاسق حاقد، فإنه تدريجياً تمتلئ القلوب بالحقد على البلاد ويضعف الانتماء إليه ليكون عرضة للاستعمار الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، نتيجة ضعف الاهتمام، وعدم الثقة بالنفس، بعد

أن صار دمار في جميع مفاصل الدولة، وظهرت الفاقة وبدأ أهل العقول والحجى يرحلون عن بلادهم سعياً في نيل حقوقهم الضائعة في بلادهم وبين أهلهم وذويهم.

د- الانصراف عن العمل المنتج: فيصير التفكير في الربح المريح الذي لا يتطلب سوى خفة اليد من سرقة ورشاوى وربما والتحكم بالضعفاء، والمتابعة المخبرانية وقيادة الزور والفساد، ومطاردة الأحرار الذين يفكرون في الخلاص من هذا الوضع الفاسد البائس، وعندها يكون البلد لديه الجهازية التامة للاستعمار وتسليمه للعدو الذي أصلاً يعيش على أشلاء الآخرين.

هـ- إهدار الفرصة البديلة: عندما تتعطل لدى المجتمع مصدر الحركة والديناميكية نتيجة فساد متتابع، وظلم متواصل، لم يعد يبقى فرصة أمام المصلحين الاجتماعيين والاقتصاديين والشرفاء من السياسيين، لأن الأرضية أصبحت هشّة لا يمكن أن يقوم عليها بناء، والأدمغة إما هاجرت أو أصابها السأم والملل فلم تعد تفكر في الإصلاح لأن الثقة عدمت لديها، وهكذا تضيع فرصة الانقاذ وتصبح محاولات الإصلاح عديمة الجدوى، لأن كثيراً من الفرص إذا ذهبت قلما تعود على الأقل إلى فترة ليست بالقصيرة.

والدول التي تسمى العالم الثالث، أو الدول النامية بسبب كونها نائمة
لازالت تعيش في فقر وضنك وهيمنة من قبل القوي، ومع كل هذا التشرذم
والذلة أصحاب الكراسي والمال والسلطة لازالوا يخربون بيوتهم ويحفرون قبور
شعوبهم المظلومة بأيهم.^{٥٨}

^{٥٨} معالم الاقتصاد الإسلامي. ناصر الأحمد ص ٨. وانظر القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي
د. أحمد يوسف ص ٨٤. بتصرف.

المبحث الثالث: الفساد المالي في ضوء سورة القصص

لا شك بأن الفساد بشكل عام لا يأتي من مصدر واحد وإنما هناك أكثر من جهة تشكل هذا الفساد.

وأساس الفساد هو فساد العقيدة وغياب الحس الإيماني ومراقبة الله سبحانه وتعالى، هذا في ميزان المسلمين.

أما الفساد في موازين أهل الكفر مثل قارون وفرعون وأضربهما فإن الأسباب تنوع وأهمها فقدان الإنسانية، والنظرة المادية الحسية إلى الحياة، فالمعاملة عندهم من وراء المصلحة المنفعة والحسابات كلها تدور حول هذا المنهج.

والفساد الإداري أو الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي أمور تجتمع كلها لتشكيل فساداً عاماً ينعكس على الفرد والمجتمع حتى الحيوان والجماد. وهذا الفساد توفر لدى فرعون وقارون.

وقد تحدثنا عن فساد فرعون الذي استعمل قوة السلطة في الحكم وقضى على الحياة الاقتصادية عندما قتل الذكور الذين يشكلون القوة المادية والفكرية والصناعية فعوضاً عن استغلالهم للبناء عمل عملاً غيباً وقام بقتلهم

ليضعف من مجتمع بني اسرائيل على حساب الأقباط الذين هم كانوا هم في عصره شعب مصر قبل أن يحسبوا على المسيحيين كديانة، هذا من جانب.

ومن جانب آخر فإن ملاحقة المعارضين أو المخالفين يجعل من المجتمع مجتمعاً مضطرباً غير مستقر يسوده الكبت والانطواء ليكون مجتمعاً مستهلكاً لا يعمل عقله ولا يدلي برأي وفكرة، فهو كالآلة المعطلة تماماً كما فعل فرعون مع بني إسرائيل استعبدتهم واستهلك قواهم الجسدية والفكرية وظن بأنه سيبقي على ملكه بهذه الطريقة المدمرة للملك ذاته وللميزانية التي عنده فهي بطبيعة الحال مآلها الدمار والخسران المبين، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشِئْتِ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْعُوءِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ، فَاذِقْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَهْمِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف: ١٣٤ - ١٣٦ ز

أما قارون فله قصة أخرى في الفساد المالي الذي يتبعه، ففساده فساد في كل مرافق الحياة وهلاك ودمار أيضاً فما قصة قارون في سورة القصص؟

المطلب الأول: مصطلحات قصة قارون

١- قارون (سلطان المال والعلم).

٢- قارون من قوم موسى بغى عليهم: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾
القصص: ٧٦.

٣- سبب طغيانه (الثراء) ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾
القصص: ٧٩.

٤- مسلكه مسلك البغي على قومه. لم يذكر القرآن الكريم لماذا كان هذا البغي إنما أطلقه ليشمل كل أنواع البغي والظلم من غصب للأرض والأشياء وحرمانهم من حقوق وغيرها. وغيرها من أنواع الظلم.

٥- قوم قارون فريقان فريق هدى وفريق حقت عليه الضلالة.

مارس قارون على أهل الهدى كل أنواع الظلم والحرمان مع الحسد والحقد والغل وتكبر عليهم، وادعى بأن الله أعطاه لأنه يستحق العطاء فهو يعلم مكنن الربح والثراء أما من حقت عليهم الضلالة من ضعاف النفوس فسرعان ما صدقوا مقولته وأنه أهل لأن يملك هذه الكنوز والأموال وما آل إليه حاله من التكبر والتجبر والعظمة في حين إن أهل العلم والبصيرة الذين لهم موازين إيمانية وأصحاب قيم ومنهج رباني أعرضوا عنه وأدركوا طغيانه وتجره وأنه من أهل الدنيا، وهو يستمتع بها ويتنعم وستنقضي هذه اللذائذ الآنية التي ستكون يوماً خيراً بعد عين. وكلا الفريقين شاهد بأمر عينه عقاب الله تعالى له وإهلاكه وكم تمنى الضعفاء أن لم يستعجلوا الأمر ويخطؤوا الحساب، وأدركوا تماماً أنهم على خطأ وحكم المتسرع. وبالمقابل أهل القيم والأخلاق والدين والعلم فازوا بثباتهم ومعرفتهم حقيقة المال والمتاع والثروة والتي كانت سبباً دمار وهلاك قارون الذي لم يشكر ربه ولم يحسن إلى قومه بأداء حقوقهم. لهذا كله كانت عاقبة المفسدين أن تبقى ذكريات في نفوس الجميع على مر العصور والدهور. وهكذا ساقطت الآية الكريمة قصة قارون صاحب المنهج الدنيوي والمصلحة المادية صاحب الغرور والطغيان، صاحب حب الظهور مع الاستعلاء، صاحب نكران النعم والإحسان، صاحب الأنانية المفرطة والتكبر المشين. وأيضا ذكرت الآيات تحذيراً شديداً وتنبئها

قويًا لكل من تسول له نفسه بهذا المسلك وهذا الميزان الخاطيء، وهي دعوة للعدل والمساواة ورد الحقوق إلى أصحابها. فقصة قارون فيها من العبر والعظات ومن الوصف لأحوال المؤمنين والطغاة.

المطلب الثاني: العبرة من قصة فرعون

١- أهل الضلالة والاستكبار يلقون الإهانة والاحتقار يوم القيامة ما يجعلهم في نكال وعذاب مضاعف فيندمون على ما فعلوا.

٢- التفاخر والفرح والبطر تجعل الإنسان يتكالب على حطام الدنيا ويعرض عن الآخرة انشغالاً بالدنيا ومتاعها.

٣- المسلك الصحيح لمن ملك المال واجاه أن يستعمل ما وهبه الله من النعم للتقرب إلى الله بأنواع القربات. قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص: ٧٧.

٤- من صفات صاحب الثروة مع الطغيان أنه ينسب لفعله الأسباب ويعمى عن المسبب الحقيقي، وهذا فساد في القيم واعتماد على القوى الظاهرة. ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا

أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿الزمر: ٤٩﴾ . إنه
الاغترار بالقوة والعلم وكثرة المال.

٥- أهل الجهل والغفلة يؤمنون الحظ والبخت وهذه عبارات مستعملة
دارجة في المجتمعات الإسلامية ومصدرها أهل المال والطغيان بدون عقيدة
وإيمان علماً بأن المؤمن يؤمن بالقضاء والقدر ويدرك أن الرزق مقسوم وأن
ما قدر له سيناله وما قدر لغيره لن يصل إليه فأخلاقه من وراء عقيدته
الراسخة بأن الآخرة هي دار القرار وعلى ضوءها يعمل العاملون وينهج
العقلاء طريق القرآن وتتلاشى عندهم المطامع التي تخرج عن الاعتدال
وينظرون في مآلات الأمور ونهاياتها.

المطلب الثالث: طغيان السياسة والاقتصاد

طغيان الاقتصاد، قد يكون خادماً أو وزيراً للطغيان السياسي، وهو يمهد له ويوطن الصدور بكل قوة^{٥٩}.

ففرعون يمثل الطغيان السياسي، وقارون يمثل الفساد الاقتصادي، لكن الموازين الحقيقية هي للقيم وليست للقوة فكم من متمسك بإيمانه ثابت بيقينه ينال الرفعة والمكانة السامية مع قلة ماله وموارده، وكم من طاغية خالي القلب من الإيمان مفلس من الأخلاق الكريمة وهو ذو جاه ومال ولكنه لا قيمة له عند الله وعند الناس، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ غافر: ٣٥. وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ القصص: ٨٣.

^{٥٩} (الأعمال الفكرية الكاملة) عمر عبيد حسنة ٦/١٢٢٠٠

هذه الخلاصة التي ساقتها الآيات بعد مصرع قارون ومصرع فرعون في أن الله تعالى لا يقبل أن يدخل جنّته مستكبراً وطاغية. هذا طغيان فرعون وملئه وقارون وملئه فماذا عن طغيان الذين يديرون البلاد في شرق الأرض وغربها في عصر العلم والتقدم والتحضّر، عصر وجدت فيه الدول الاسكندنافية، وحقوق الحيوان، أما حقوق الإنسان - أعني حقوق المسلم السني- فله تفسيره عند الغرب والشرق الكافر تفسيراً يطبق تعاليم التلمود، ومحاكم التفتيش في عصر القرون الوسطى للغرب، والذي يطبق اليوم على المسلمين السنة، ولكن على يدي العرب والمسلمين أنفسهم بعد أن تمت الهيمنة على منابع النفط وخيرات بلاد المسلمين عن طريق شراء الدم، وتربية قادة درسوا في بلادهم، ونهلوا من معين المستشرقين الذين أفسدوا الحياة الفكرية والثقافية لدى المسلمين ، وذلك بفرض قوانين علمانية وحكام يعادون الإسلام أشد من معاداة الغرب له، فقلوبهم مستعمرة ، وأمواهم محكوم عليها ، وسياساتهم مفروضة عليهم وما خفي أعظم ، علماً بأن الجميع أعلن عداؤه لحرية الإنسان وكرامته لكن فقط على المسلمين والسنة منهم حصراً، والأحداث اليوم منذ ٢٠١١ وحتى الآن ٢٠٢٤، وما زالت قائمة لم تنته بعد، فهي شاهدة على ذلك لا ينتطح فيها عنزان.

ولازال القتل والتدمير والاستنزاف لخيرات أهل السنة المسلمين قائماً،
ويعلم الله تعالى إلى متى سيبقى هذا الحال، والمشتكى إلى الله وحده.

الفصل الثالث: الفساد الاجتماعي ويمثله قوم شعيب

الفساد الاجتماعي: هو التحرك الاجتماعي الذي يحدث أو يسمح به داخل المجتمع بين الأسر أو الأفراد أو الطبقات الاجتماعية المختلفة. وهو طريقة في الحياة تقوم على التسكع واللامبالاة بالوضع الاجتماعي أو المعيشي وعدم الاهتمام بالمصير والمستقبل، و "المرء نتاج محيطه الاجتماعي". والحياة الاجتماعية: هي ما يتصل بالوضع الاجتماعي عامة- حياة التشرذم: الضياع والتشرذم- حياة خشنة: فقيرة- حياة عائلية: تتصل بالأسرة.^{٦٠}

وفي هذا المبحث سأتناول قصة فساد الملاء الفاسد من قوم نبي الله شعيب عليه السلام، كما ورد في سورة هود. بداية أذكر نبذة عن نبي الله شعيب نسبه، وقومه الذين أرسل إليهم، ومعاناته معهم، نتيجة الفساد المالي الذي أحدثوه في المجتمع.

شعيب عليه السلام وقومه: (بين القوى والقيم)

المطلب الأول: نبي الله شعيب عليه السلام

وهو شعيب بن عيفا بن نويب بن مدين بن إبراهيم.

بعثه الله تعالى إلى مدين، وهو ابن عشرين سنة، وكانوا أهل بحس في

المكايل والموازين، فدعاهم إلى التوحيد ونهاهم عن التطفيف. فكان يقال

له: خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه.

^{٦٠} معجم اللغة العربية المعاصرة ١/٢٢٦، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى:

١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل.

المطلب الثاني: مآل قوم مدين الذين يمثلون القوة الظالمة

لما طال تماديهم بعث الله عليهم حراً شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا أجواف البيوت، فدخل عليهم فخرجوا إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة فأظلمت من الشمس، فوجدوا برداً ولذة، فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم، فذلك عذاب يوم الظلة. قال قتادة: "أما أهل مدين فأخذتهم الصيحة، وأما أصحاب الأيكة، فسلط عليهم الحر سبعة أيام، ثم بعث الله عليهم نارا فأكلتهم، فذلك عذاب يوم الظلة. قال أبو المنذر: ثم إن شعيباً زوج موسى ابنته، ثم خرج إلى مكة فتوفي بها، وأوصى إلى موسى، وكان عمره كله مائة وأربعين سنة، ودفن في المسجد الحرام حيال الحجر الأسود." ^{٦١}

^{٦١} المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١/٣٣٤. لابن الجوزي المتوفى (٥٩٧هـ).

المطلب الثالث: التعريف بمجتمع مدين: (يمثل القوة)

مدين: " مدينة نزهة على ساحل البحر، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لأغنام شعيب عليه السلام.

" مدينة مدين: هي في الإقليم الثالث، وبعدها عن خط المغرب، إحدى وستون درجة، وعن خط الاستواء، تسع وعشرون درجة، وهي بين حدود الشام وحدود مصر، وهي مدينة شعيب عليه السلام. وفيها كهفه الذي كان يأوي إليه بغنمه، وفيها جبال كثيرة، وفيه كهوف ومغارات تحت الأرض، فيها عظام بالية، عليها رواسخ مبنية، وهم قوم شعيب، إذ أهلكتهم الله تعالى فأخذتهم الصيحة، فدخلوا في المغارات تحت الأرض لئلا يسمعوا الصيحة، فماتوا جميعهم.

وفي مدين، البئر التي استقى فيها موسى عليه السلام، وعليها قبر مبني". "ومدين بن اسماعيل، وهو الذي صار إلى أرض مدين، فنزلها، ومن ولده شعيب النبي عليه السلام، وقومه الذين أرسل إليهم."

قال وهب: ولم تكن «مدين» قبيلة شعيب من أصحاب الأيكة ولكنها أمة بعث إليهم."

والأيكة: الشجر الملتف، وقد جلسوا - أي القوم الذي أرسل إليه شعيب عليه السلام - تحت شجر الأيكة ليستظلوا بفيئها لما حل عليهم

العذاب. "فغن جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول: بعث شعيب إلى أمتين: إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة، وكانت الأيكة من شجر ملتف، فلما أراد الله عز وجل أن يعذبهم بعث عليهم حراً شديداً، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة، فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها، فلما كانوا تحتها أمطرت عليهم ناراً، قال: فذلك قوله تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) الشعراء: ١٨٩.

"ويقال أنّ اصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب كانوا بها ولم يكن شعيب منهم، وأما كان من مدين، ومدين على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ستّ مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى عم لسائمة شعيب.

ومدين: اسم القبيلة التي كان منها شعيب وأما سميت القرية بهم الا ترى أنّ الله يقول والى مدين أخاهم شعيباً".

المطلب الرابع: قوم مدين

مدين من الأقوام السابقة الذي استدعى طغيانهم وتكبرهم واستعجالهم بعذاب الله وإنكارهم الرسالة وما بعدها، الذين أخذوا مدين مستقراً لهم وهي ركن من الحجاز وتقع على مشارف معان، ويعود نسبهم إلى إبراهيم عليه السلام، وقد أرسل الله إليهم شعيباً فقد كان أهل مدين قد اعتادوا على:

١-عبادة الأوثان.

٢-قطع السبيل.

٣-وعبادة الشجر.

٤-تطيف الكيل والميزان.

وكانوا أسوأ الخلق في التعاملات في الأسواق حيث يبخسون المكيال والميزان، ويطففون بما بغية أخذ الزائد من المال بحيث يضللون بناس ويبخسوهم بضاعتهم فأمرهم شعيب عليه السلام:

١-بعبادة الله وحده.

٢-نهامهم عن قطع الطريق أو اقتطاع من أموالهم والكف عن الظلم.

٣-دعاهم لتقوى الله تعالى من بيع وشراء وتجارة وأمرهم بالإحسان

والعدل.

٤- وعظهم بما حل بالأمم السابقة.

المطلب الخامس: قابلوا شعيب عليه السلام

١- جحدوا وتكبروا وعصوا وأنكروا نعم الله تعالى.

٢- آذوا شعيباً.

٣- طلبوا من شعيب بأن يترك المؤمنون إيمانهم فلم يستجب لهم.

٤- هددوه بالقتل.

٥- استوجب ذلك غضب الله عز وجل فأنزل عليهم أنواعاً مختلفة من

العذاب.

٦- أصابهم حر شديد.

٧- منع الله عنهم هبوب الرياح سبعة أيام متتالية فلم ينفعهم مال وظل

ولا دخولهم في مساكنهم بل تركوا بيوتهم ومتاجرهم هارين إلى البرية.

٨- أظلمت سحابة سوداء فاجتمعوا تحتها ليستظلوا تحتها، فلما اكتمل

عددهم أرسل لهم ناراً ترميهم بشهب وشرار حتى اهترت بهم الأرض.

٩- نزلت عليهم صيحة من السماء فأزهقت وأهلكت الأرواح.

المطلب السادس: انتصار القيم: (شعيب وقومه المؤمنون).

أ- نجى الله شعيباً وقومه المؤمنين.

ب- أورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم ومتاجرهم.

فأهل مدين ومن عمل عملهم من أخبث الناس كيلاً ووزناً وأصحاب الثروات يضطرون دائماً للقبول بهذا الميزان المجحف لحاجة الناس إليهم وهذا موجود في الأولين ولازال في الآخرين سنتحدث عنه بشكل مفصل في فصول هذا البحث. قال تعالى: (أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) هود: ٨٥ وقال الله تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) المطففين: ١، وقال الله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)، الأنبياء: ٤٧.

فالعلاقة بين العقيدة والسلوك، والإيمان والقيم الأخلاقية نتائج ظاهرة السوء كانت موجودة في قوم مدين وهي تطفيف الميزان ولازالت هذه العلاقة

قائمة في العالم الغربي والعالمين العربي والإسلامي على حد سواء، وهي علل مستقرة في نفوس الطواغيت وأنظمتها الفاسدة.

كما ورد في معرض الآيات مصطلحات تشكل مضمون قصتهم والعذاب الذي استحقوه وفي ذكر هذه المصطلحات فائدة كبيرة حيث تكون في الذهن صورة متكاملة عن أسباب الحدث ومقوماته ونتاجه.

المطلب السابع: دعوة شعيب قومه وما نتج عنها

من المعلوم أنّ كلّ نبيّ من الأنبياء الكرام عليهم السلام مأمور بنشر عقيدة التوحيد والدعوة إلى مكارم الأخلاق. وكان كل نبي يعالج فساداً تفرد به قومه وصارت ظاهرة تشكل خطراً على العباد والبلاد وتقضي على الأفراد والمجتمع.

لذا يقوم هذا النبي بدعوة قومه ويؤكد على تخليصهم، ويصف لهم العلاج الناجع. هذا وإن قوم مدين اشتهروا بالأنانية بتطيف الكيل والميزان وقطع الطريق، وهي من الأدواء المعضلة المهلكة والمفسدة للمجتمع الإنسانيّ، والذي كان مستشرياً وسارياً في زمن نبيّ الله شعيب عليه السلام. وقد بيّن القرآن الكريم هذا الأمر في كلامه سبحانه وتعالى عن النبيّ الكريم شعيب عليه السلام في عدد من السور، ولكن الذي يعيننا في بحثنا هذا ماورد من آيات في سورة هود تتعلق بدعوة شعيب قومه وموقفهم من نبيهم. وقد أرسل شعيب عليه السلام إلى مدين التي هو من أبنائها، وإلى الأيكة التي كانت بقرب مدين. يقول الله تعالى: (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي

أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ) هود: ٨٤، حيث نعته بالأخ لأهل مدين، دون أن ينعته بذلك عند الحديث عن أصحاب الأيكة بل قال تعالى: (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ) الشعراء: ١٧٦ - ١٧٧.

دلالة على أنه عليه السلام لم يكن من أهل الأيكة، وكان التأكيد في كلا المهمتين بشكل كبير على المشكلة الاجتماعية المستفحلة التي تجذرت وتأصلت في كلا المجتمعين "مدين والأيكة"، طبعاً بعد الدعوة إلى التوحيد لأنهم كانوا يعبدون الأصنام. وقد عقب القرآن الكريم النهي عن التطفيف بقوله: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ هود: ٨٥ وفيه دلالة على أنّ البخس في الميزان والتطفيف من عناصر الإفساد للمجتمع الإنساني. وقد دعاهم نبيهم إلى الربح الحلال الذي فيه العدل والإنصاف. قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ هود: ٨٥ والمراد أنّ الربح الذي هو بقیة إلهية هداكم الله إليه من طريق فطرتكم هو خير لكم من المال الذي تقتنونه من طريق التطفيف ونقص المكيال والميزان إن كنتم مؤمنين، فإنّ المؤمن إنّما ينتفع من المال المشروع الذي ساقه الله إليه من طريق الحلال، وأمّا غير المشروع

فسيكون وبالاً عليه، لأنه فيه الظلم والتعدي وأكل مال الغير بغير وجه حق.

هذا ، وإنني في هذا الباب سأناقش تفاصيل قوم مدين وأسقطه على الواقع المعاصر الذي وصل الحال فيه إلى القاع في التردّي والظلم في عصر الديمقراطيات المزعومة والحضارة المزيفة، التي تستعبد الانسان بأساليب خبيثة باسم القانون تارة، وباسم حقوق الانسان تارة أخرى كل ذلك بطرق خفية، وقوانين ظالمة، تم تفصيلها حسب ما يريده العم سام وأحابيه من ملل الكفر والنفاق، الذين مكنوا لأعداء الإنسانية فوظفوا أنفسهم عبيداً عندهم لا دنيا كريمة حصدوا ولا آخرة رجوا ، بل عملوا على صب لجام الغضب على شعوبهم المستضعفة لأنها تسعى لنيل حقها وحريتها. ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ البروج: ٨.

كما سأبحث في هذا الفصل الخطر الثلاثي المدمر منبع الشر والفساد التي يتلخص بأعمال قوم مدين قديماً والعالم الحر حديثاً نتيجة الأنانية والجشع والطمع. قديماً: عبادة الأوثان، واستغلال المال فيما يضر الناس، والعبث والفساد في المجتمع.

وحديثاً: تقديس الأحزاب والطواغيت، والأنانية في الاقتصاد سواء على الطريقة الرأسمالية والشيوعية، والتحكم بالمجتمع وإرهاق كاهله بالديون

والفقر والاستعباد. أو قوانين يتم تفصيلها وفق الهوى وخدمة الجسد بعيداً عن الدين والمعتقد وانقطاعاً عن السماء والفضيلة، ونشراً لثقافة الجنس والرذيلة، تماماً كما كان يفعل أهل الكتاب الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً، وكما أوضح النبي ﷺ لعدي بن حاتم، قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب. فقال: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: (اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) [التوبة: ٣١]، قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه». ٦٢ وهذه هي الكارثة في الوقت المعاصر في ظل فساد الفطرة والسريرة ومحاربة الانسانية على حساب الأنانية.

وليبيان الانحراف الاقتصادي في قوم مدين، لابدّ من الوقوف على شرح الآيات التي تتعلق بتطيف المكيال والميزان، وسوق الحجج التي تعلق بها قوم شعيب عليه السلام، وما دار في الحوار.

٦٢ أخرجه الترمذي برقم (٣٠٩٥)، وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وخطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. والحديث حسن. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٢١٨). والبيهقي في السنن الكبرى برقم (٢٠٣٥٠).

المطلب الثامن: حوار شعيب مع قومه

"كانت عادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤون بالأهم فالأهم ولما كانت الدعوة إلى توحيد الله وعبادته أهم الأشياء قال شعيب: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، ثم بعد الدعوة إلى التوحيد شرع فيما هم فيه. جاء في تفسير الرازي: "ولما كان المعتاد من أهل مدين - البخس في الكيل والوزن - دعاهم إلى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، النقص في الكيل والوزن على وجهين: أحدهما: أن يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصاً.

والوجه الآخر: هو استيفاء الكيل والوزن لأنفسهم زائداً عن حقهم فيكون نقصاً في مال الغير. وكلا الوجهين مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ﴾. قال ابن

عباس: كانوا موسرين في نعمة. وقال مجاهد: كانوا في خصب وسعة. فحذرهم زوال تلك النعمة، وغلاء السعر، وحصول النعمة، إن لم يتوبوا ولم يؤمنوا وهو قوله: ﴿وَأِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ يعني: يحيط بكم فيهلككم جميعاً، وهو عذاب الاستئصال في الدنيا. أو حذرهم عذاب الآخرة، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، أي: أتموها ولا تطففوا فيهما بالقسط أي: بالعدل. وقيل: بتقويم لسان الميزان، وتعديل المكيال. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ﴾ أي: ولا تنقصوا الناس أشياءهم يعني أموالهم فإن قلت قد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة أوجه لأنه قال ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، ثم قال: ﴿أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ وهذا عين الأول ثم قال: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾، وهذا عين ما تقدم فما الفائدة في هذا التكرار؟ قلت: إن القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن، ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيد فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولأن قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهي عن التنقيص. وقوله ﴿أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، أمر بإيفاء العدل وهذا غير الأول ومغاير له ولقائل إن يقول: النهي ضد الأمر فالتكرار لازم على هذا

الوجه، قلنا الجواب عن هذا: قد يجوز أن ينهى عن التنقيص ولا يأمر بإيفاء الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك -صل رحمك ولا تقطعها- فتريد المبالغة في الأمر والنهي.

وأما قوله ثانياً: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾، فليس بتكرير أيضاً، لأنه سبحانه وتعالى لما خصص النهي عن التنقيص والأمر بإيفاء الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الأشياء التي يجب إيفاء الحق فيها فيدخل فيه الكيل والوزن والزرع وغير ذلك. فظهر بهذا البيان فائدة التكرار والله أعلم. ٦٣

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم، (وَبَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ، قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ، قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَأَكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ، وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَبَعِيدٍ﴾

٦٣ تفسير الرازي ٤١/١٨ بتصرف. وانظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٤٩٨/٢ للخازن.

هود: ٨٦ بقيت الله خير لكم. قال ابن عباس: يعني ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف.

وقال مجاهد: بقية الله يعني طاعة الله خير لكم، وقيل: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ﴾ يعني ما أبقاه لكم من الثواب في الآخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني مصدقين بما قلت لكم وأمرتكم به ونهيتكم عنه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ يعني: أحفظ أعمالكم.

قال بعضهم: إنما قال لهم شعيب ذلك لأنه لم يؤمر بقتالهم. ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾. يعني من الأصنام ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾. يعني من الزيادة والنقصان، قال ابن عباس: كان شعيب كثير الصلاة، فلذلك قالوا هذا.

وقيل: إنهم كانوا يعمرون به فيروونه يصلي فيستهزؤون به ويقولون هذه المقالة. وقال الأعمش: قراءتك: لأن الصلاة تطلق على القراءة والدعاء. وقيل: المراد بالصلاة هنا: الدين يعني: أدينك يأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا وأن نفعل في أموالنا ما نشاء) وذلك أنهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير، فكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك ويخبرهم أنه محرم عليهم. وإنما ذكر الصلاة لأنها من أعظم شعائر الدين. ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قال ابن عباس: أرادوا السفية الغاوي لأن العرب قد تصف الشيء بضده

فيقولون للديغ سليم وللفلاة المهلكة مفازة، وقيل: هو على حقيقته وإنما
 قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية، وقيل: معناه ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ
 الرَّشِيدُ﴾ في زعمك وقيل: هو على بابه من الصحة ومعناه: إنك يا شعيب
 فينا حلیم رشيد فلا يحمل بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم قال
 يعني. (قال لهم شعيب: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ يعني:
 على بصيرة وهداية وبيان ﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ يعني: حلالا، قيل: كان
 شعيب كثير المال الحلال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما أتاه الله من العلم
 والهداية والنبوة والمعرفة وجواب إن الشرطية محذوف تقديره: - أرايتم إن
 كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والهداية والمعرفة والنبوة فهل
 يسعني مع هذه النعمة أن أخون في وحيه أو أن أخالف أمره أو أتبع الضلال
 أو أبخس الناس أشياءهم- ، وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم ذلك
 أنهم قالوا له إنك لأنك الحلیم الرشيد . والمعنى: فكيف يليق بالحليم الرشيد
 أن يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة وقوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا
 أَهَّاكُمْ عَنْهُ﴾. قال صاحب الكشاف: خالفني فلان إلى كذا إذا قصده
 وأنت مولٍ عنه، وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده، ويقال الرجل
 صادراً عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول: خالفني إلى الماء، يريد أنه قد
 ذهب إليه وأردا وأنا ذاهب عنه صادراً. ومنه قوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ

إِلَى مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ. أي أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم. وقال الإمام فخر الدين الرازي: و"تحقيق الكلام فيه أن القوم اعترفوا فيها بأنه حلیم رشید وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الأصوب الأصلح فكأنه عليه السلام قال لهم: لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا أن الذي اخترته لنفسي هو أصوب الطرق وأصلحها وهو الدعوة إلى توحيد الله، وترك البخس والنقصان. فأنا مواظب عليها غير تارك لها فاعلموا أن هذه الطريقة خير الطرق وأشرفها لا ما أنتم عليه".

وقال الزجاج: "معناه إني لست أنهأكم عن شيء وأدخل فيه إنما أختار لكم لنفسي"، وقال ابن الأنباري: "بين أن الذي يدعوهم إليه من اتباع طاعة الله وترك البخس والتطيف هو ما يرتضيه لنفسه وهو لا ينطوي إلا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم ﴿إِنْ أُرِيدُ﴾، يعني: ما أريد فيما أمركم به وأنهأكم عنه ﴿إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ يعني: فيما بيني وبينكم. ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ يعني: ما استطعت إلا الإصلاح وهو الإبلاغ والإنذار فقط ولا أستطيع إجباركم على الطاعة لأن ذلك إلى الله فإنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾، التوفيق: تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى فلذلك قال تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي

إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، يعني: على الله اعتمدت في جميع أموري ﴿وَالِيَهُ
أُنِيبُ﴾، يعني: وإليه أرجع فيما ينزل من النوائب^{٦٤}

المبحث الثاني: الأداة الثانية: استغلال المال

استغلال المال مع ما يصاحبه من العبث والفساد كانت الظاهرة المسيطرة على المجتمع في مدين. واليوم تعود هذه الظاهرة إلى علمنا المعاصر بصور مختلفة فإن وقع بالأمس غضب للمال بالإكراه فإنه يقع اليوم باسم القانون أو باسم نظام الحكم وهكذا.

فإذا كان الهدف هو الاستيلاء على مال الغير، وإذا كانت الغاية هي التوسع في جانب لمصلحته على حساب جانب آخر، فالهدف باقٍ والغاية باقية مع التغير في الوسيلة أو في الصورة.

وقد "قص القرآن الكريم علينا قصة نبي الله شعيب الذي طالب قومه بالوفاء بالكيل والميزان دون تطفيف أو بخس للناس أشياءهم وقد نزلت سورة بأكملها تهدد المطففين بالويل وهي سورة المطففين.

كما اهتم الاسلام بقضية ضبط المقادير والوفاء بالكيل والميزان والبعد عن التطفيف، وقد ظهرت وظيفة المحتسب في الدولة الإسلامية^{٦٥} لمراقبة

^{٦٤} لباب التأويل في معاني التنزيل: ٤٩٨/٢، علاء الدين علي بن محمد، المعروف بالخازن.
^{٦٥} قال الفراء في الأحكام السلطانية: الحسبة، هي أمر بالمعروف، إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله. وهذا، وإن صح من كل مسلم، فالفرق بين المحتسب والمتطوع من تسعة أوجه:

الأسواق والتأكد من سلامة الموازين والقضاء على الغش والخداع في مجال المعاملات الاقتصادية.^{٦٦} قال الله تعالى: ﴿وإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ

أحدها: أن فرضه متعين على المحتسب بحكم الولاية، وفرضه على غيره داخل في فرض الكفاية. الثاني: أن قيام المحتسب به من حقوق تصرفه الذي لا يجوز أن يتشاغل عنه بغيره. وقيام المتطوع به من النوافل الذي يجوز التشاغل عنه لغيره.

الثالث: أنه منصوب للاستعداد إليه فيم يجب، وليس المتطوع منصوباً للاستعداد.

الرابع: أن على المحتسب إجابة من استعدى به، وليس على المتطوع إجابته.

الخامس: أن عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة، ليصل إلى إنكارها، ويفحص عما ترك من المعروف الظاهر، ليأمر بإقامته، وليس على غيره من المتطوعة بحق ولا فحص.

السادس: أن له أن يتخذ على الإنكار أعواناً، لأنه عمل هو له منصوب، وإليه مندوب، ليكون له أقهر، وعليه أقدر، وليس للمتطوع أن يندب لذلك أعواناً.

السابع: له أن يعزر على المنكرات الظاهرة، ولا يتجاوزها إلى الحدود، وليس للمتطوع أن يعزر على منكر. الثامن: أن له أن يرتزق من بيت المال، على حسبه، ولا يجوز للمتطوع أن يرتزق على إنكاره.

التاسع: أن له اجتهاد رأيه فيما تعلق بالعرف دون الشرع، كالمقاعد في الأسواق، وإخراج الأجنحة، فيقر وينكر من ذلك ما أداه اجتهاده إليه، وليس هذا للمتطوع. فيكون الفرق بين والي الحسبة، وإن كانت أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وبين غيره من المتطوعة، وإن جاز أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، من هذه الوجوه التسعة. ومن شروط والي الحسبة أن يكون خبيراً عدلاً، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة.

انظر: الأحكام السلطانية للفراء ٢٨٤/١ المؤلف: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ).

^{٦٦} بناء المجتمع الإسلامي ٢٢٤/١، المؤلف: د نبيل السمالوطي، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة: الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٤ - ٨٥﴾

"ثروة ثمينة يمتلئ بها القرآن الكريم من قوانين عظيمة وقواعد متينة في
التعامل مع الآخرين، والتي يجب على المسلمين العمل بها والحرص على
تطبيقها لتحقيق العمل بكتاب الله أولاً ثم للحصول على السعادة والفلاح
والتوفيق في الدنيا والآخرة من ذلك ما افتتح الله به سورة المطففين بقوله
سبحانه وتعالى: (وَيْلٌٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ،
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزُّوهُمْ يُحْسِرُونَ). المطففين: ١ - ٣.

هذه الآيات وإن كانت صريحة في التعاملات المالية في الميزان والمكيال
غير أن التطفيف يشمل جوانب التعامل الأخرى الحسية والمعنوية، فويلٌ
للمطففين أيًا كان تطفيفهم؛ لأن التطفيف ظلمٌ وبخسٌ للناس أشياءهم،
وأكلٌ لأموالهم بالباطل وجرحٌ للنفوس، وتأليمٌ للقلوب، وزرعٌ للشحناء
والبغضاء، وتوسيعٌ لدائرة الفرقة والشقاق، وويلٌٌ للمطففين وإن كان
تطفيفهم فيما يبدو لهم طفيفاً، فالتطفيف القليل منه كثير، وقليله لا يقال

له قليل. فكما أنه ويلٌ للمطففين في التعاملات المالية فكذلك المطففين في العلاقات الاجتماعية والقضايا الفكرية والأمور المعنوية.^{٦٧}

"فاستغلال رأس المال بما يسمى اليوم بالعالم الحر يعود حتماً إلى الأنانية ذاتها هي السبب في رفض قوم شعيب في مجتمع مدين لنصحته بالتخلي عن الاستغلال واتباع العدل في المعاملة المالية. وأنانية الرأسماليين في العالم الحر تؤكد وجودها بالتأثير على التوجيه السياسي والاقتصادي والاجتماعي كما كانت أنانية المجتمع في مدين، والفرق بين الوصفين فيما مضى واليوم بجانب الأنانية وتأكيدهما هو الأسلوب فقط. فأسلوب الوضع المعاصر هو الأسلوب الذي ينفذ إلى المؤسسات والنظم العامة في المجتمع بتبرير أنانيته عن طريق نشاطها الخاص، وهكذا تختفي وراء غايات تلك المؤسسات والنظم، وهذا يتيح لها الاستمرار في النشاط الإنساني في دائرة المال واستثماره دون أن تظهر بمظهر المتحدي للقيم الإنسانية والأسلوب الإنساني في المعاملة. إنه أسلوب خفي شيطاني خبيث، بينما أسلوب المجتمع القديم ليس هذا الأسلوب في اللف والدوران بل كان أسلوباً بدائياً، وهناك فرق بين العمليات المالية بالأمس واليوم في سعة دائرة التعامل وصيغها، وفي كثرة الأرباح وقلتها في الأرقام، ولكنه فرق لا يتصل من قريب

^{٦٧} مقال شبكة صيد الفوائد بعنوان " ويل للمطففين " نبيل بن عبد المجيد النشمي، بتصرف.

أو بعيد بمعنى الاستغلال والانحراف في مباشرة المال، ونتائج الانحراف أو ما يسمى بنظام الرأسمالية القلق والاضطراب والتنافر ثم الدمار والسقوط. كذا الثورة الماركسية كمصدر تهديد للنظام الرأسمالي وللمجتمع الحر أكثر تأثيراً عليه في عصرنا الحاضر من الزلزال الذي أطاح بمجتمع مدين^{٦٨}. ثورة تستخدم التخريب واللاإنسانية في الحرب الباردة والساخنة على السواء. ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ هود: ١١٦.

ويتزعم الافساد المالي في العالم اليهود أصحاب السامري وعبدة الذهب، عجل السامري حيث "يتخذ اليهود جميع الوسائل والطرق في إثارة الفتن والحروب ونشر الفساد الأخلاقي والدعوة إلى الإباحية والإجهاض والزنا وإشاعة الربا والفساد الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والديني في سبيل تحقيق أهدافهم وأحلامهم وهم في حقيقتهم أحقر وأجبن وأضعف من أن يحققوا شيئاً من ذلك ولكنهم انتهازيون يستفيدون من الأحداث والاضطرابات والفتن في تحقيق أهدافهم، بل يخلقون الحروب ويشعلون الفتن عن طريق أدواتهم ودهاليزهم السرية التي أحكموا ضبطها واختاروا فريقها،

^{٦٨} الدين والدولة من توجيه القرآن د. محمد البهي ص ٩-١٠ بتصرف - مكتبة وهبة-القاهرة.

وزرعوها في الأرض فالمال الذي ينفقونه عجلاً له خوار، وتمسكاً بالحياة،
﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾
البقرة: ٩٦.

المبحث الثالث: الأداة الثالثة: العبث بالمجتمع

المتصفح لسور القرآن الكريم ودعوته للعدالة الاجتماعية ونشر الفضيلة والقضاء على الرذيلة والفساد يجد ذلك في جميعها ضمن منهج قرآني عادل كما أنه يقف على دعوته للإعداد والاستعداد لنشر ذلك، قال تعالى:
﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال: ٦٠ لهذا فالإسلام وقف أمام الظلم والظالمين بالمرصاد، فالآيات الكريمة توضح هدفاً رئيساً ألا وهو الضرب بيد من حديد على العابثين والفاستدين المفسدين في المجتمع إن سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو على مستوى الفرد أو المجتمع أو الأمة، وهذا لا يمكن إلا إذا توفرت القوة بكافة أشكالها مادياً ومعنوياً.

وقصص الأنبياء والرسل في مواجهة أقوامهم يهوداً أو نصارى أو مشركين أو منافقين ومن والاهم أو وادهم، أو مواجهة مناهجهم الباطلة،

لتحذر المسلمين من شرهم كما تنبه إلى خطر العقوبة التي تحل بهم كما
حلت بمن قبلهم.

المبحث الرابع: الأداة الرابعة: الوثنية المبطنة

وبما أننا نتحدث عن العالم الحر اليوم بجميع أيدولوجياته فإننا نجد عودة
مجتمع قوم مدين الذين يمثلون الفساد المالي والسياسي والاجتماعي إلى
الواجهة ولكن بوثنية مبطنة واستغلال للمال باسم القانون والعبث في المجتمع
باسم الديمقراطية. فالقرآن الكريم يربط بين أمور ثلاثة دعا فيها شعيب عليه
السلام قومه وهي متلازمة الوقوع إذا وقعت الأولى لا بد أن تقع الثانية،
والثالثة وهكذا، ووقوعها أمر واقعي لا مفر منه، وهذه الأمور هي منبع
الشر والفساد والقضاء على إنسانية الإنسان وتتضمن الحديث عن الأمور
الآتية:

١- عبادة الأوثان.

٢- استغلال المال فيما يضر الناس.

٣- العبث والفساد في المجتمع.

٤- الوثنية المبطنة.

فاستغلال المال مع ما يصاحبه من العبث والفساد كان الظاهرة
 المسيطرة على المجتمع في مدين فما هو حظ الوثنية اليوم من هذه المفاسد؟
 فقبل الحديث عن مقارنة بين أمس واليوم نسوق قصة مدين كما جاءت
 في سورة هود في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
 اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ. وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ
 وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ
 لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ. قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ
 أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ
 الرَّشِيدُ. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا
 وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
 وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ. وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي
 أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ
 لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ. وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ. قَالُوا يَا
 شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ
 وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ
 وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُّحِيطٌ. وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي

عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِلَيَّ
مَعَكُمْ رَقِيبٌ. وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ، كَأَنَّ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا إِلَّا
بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودٌ ﴿هُود: ٨٤ - ٩٥﴾

المبحث الخامس: مصطلحات في قصة مدين

المطلب الأول: الترف

التُرْفَةُ: النعمة والطعام الطيب، والشيء الظريف تخص به صاحبك،
والمترف كمكرم: هو المتروك يصنع ما يشاء لا يُمنع، والمتنعم لا يمنع من
تنعمه^{٦٩}. والترف هو مجاوزة حد الاعتدال بنعمة أو الإكثار من النعم التي
يحصل بها الترف^{٧٠}. والمترف هو من أبطرته النعمة وسعة العيش وأهنته عن
طاعة الله، فتراه حريصاً على زيادة أحواله وعوائده ساعٍ إلى بلوغ الغاية في
حاجات الذات الحسية من مأكّل ومشرب ومسكن ومركب. وقد ورد ذكر
الترف في ثمانية مواضع من كتاب الله كلها في مقام الذم له والتحذير منه؛
لأن الترف والتكذيب بآيات الله غالباً ما يقترنان، كما في قوله تعالى:
﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا

^{٦٩} (القاموس المحيط) ص ١٠٢٦ لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى:

٨١٧هـ).

^{٧٠} الترف لناصر بن عمار، ص ٧

أَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ الزخرف: ٢٣، وكما في قوله عن سبب عذاب وشقاء أصحاب الشمال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ، وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ الواقعة: ٤٥ - ٤٧. وورد عدد من الأحاديث النبوية تنهى عن الترف وتحذر من تعلق القلب به، ومن غلو الإنسان في الانغماس في متع الحياة وملذاتها، وتحث على تركه والانصراف عنه إلى ما هو خير في الدارين. عن عمرو بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»^{٧١}. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة»^{٧٢} إن الترف مفسد للفرد؛ لأنه يشغله بشهوات بطنه وفرجه، ويلهيته عن معالي الأمور ومكارم الأخلاق، لأنه يقتل فيه روح الجهاد والجد والخشونة، ويجعله عبداً لحياة الدعة والرفاهية، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «تعس عبد الدينار، والدرهم، والقטיפفة، والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض»^{٧٣}. كما أن

^{٧١} أخرجه مسلم برقم ٢٢٧٤

^{٧٢} أخرجه ابن ماجه بسند حسن برقم ٣٦٠٥

^{٧٣} أخرجه البخاري برقم ٦٤٣٥

الترف مفسد للجماعة، منذر باختيارها، ولهذا قرنه القرآن الكريم بالظلم والإجرام؛ وسر ذلك أن الأقلية المترفة تسرق بترفها حقوق الأكثرية المحرومة؛ ظلماً، وتضمن على حساب هزائها؛ إجراماً، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ هود: ١١٦

ومن هنا كان الترف في نظر القرآن الكريم من أقوى أسباب الانحلال الاجتماعي، خاصة إذا كثرت المترفون، وأصبحوا من ذوي الجاه والسُلطان، وقد بين القرآن هذه السنة الاجتماعية في قوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء: ١٦. قال ابن عاشور: " والمترف: اسم مفعول من أترفه إذا أعطاه الترفة. بضم التاء وسكون الراء- أي النعمة. والمترفون هم أهل النعمة وسعة العيش، وهم معظم أهل الشرك بمكة. وكان معظم المؤمنين يومئذ ضعفاء قال الله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ المزل: ١١ وتعليق الأمر بخصوص المترفين مع أن الرسل يخاطبون جميع الناس، لأن عصيانهم الأمر الموجه إليهم هو سبب فسقهم وفسق بقية قومهم إذ هم قادة العامة

وزعماء الكفر فالخطاب في الأكثر يتوجه إليهم، فإذا فسقوا عن الأمر اتبعهم
الدهماء فعم الفسق أو غلب على القرية فاستحقت الهلاك" ^{٧٤}.

المطلب الثاني: الإجرام

المجرمون: هم المرتكبون للجرائم . وهي الذنوب والآثام . والأغلب أن
تكون كفراً يخلد صاحبه في النار والعياذ بالله وسندكر مثلاً على ذلك . وأما
المنافقون: فهم الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، والمتتبع لآيات
النفاق في القرآن الكريم يلاحظ أن جلها - إن لم نقل كلها - في هذا النوع
من النفاق المخرج من الملة، كما سيأتي . وأما الكافرون: فهم الجاحدون
الذين لا يؤمنون بالله ورسله، فالكفر . في القرآن الكريم نقيض الإيمان إلا
ما روي عن ابن عباس وغيره: أن كفر وظلم وفسق من لم يحكم بما أنزل الله
الوارد في سورة المائدة قد يكون كفراً دون كفر، وظلماً دون ظلم، وفسقاً
دون فسق . وأما المشركون: فهم الذين يعبدون غير الله تعالى أو يعبدون معه
غيره . وأما الفاسقون: فهم المتمردون على الله تعالى الخارجون عن طاعته

^{٧٤} التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ٥٥/١٥
محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ).

تعالى. قال الراغب الأصفهاني في المفردات: والفسق أعم من الكفر، ويقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيراً، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقر به، ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضها، وإذا قيل للكافر الأصلي: فاسق، فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة، وكثيراً ما يطلق في القرآن الكريم على الكفر المقابل للإيمان، كما في قوله: أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً، والعامل المشترك بين هؤلاء جميعاً: هو مخالفة أمر الله تعالى، وإذا كانت من الكفر الأكبر المخرج من الملة محلد في النار. والعياذ بالله تعالى. ففي شأن المجرمين يقول الله تعالى: إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون. وفي الكفار والمنافقين والفاستقين يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ التوبة: ٦٧ - ٦٨، وفي المشركين يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ البينة: ٦. وقد حذر هود قومه أن يتولوا عنه مجرمين، وحين عذبوا بالريح العقيم أصبحوا لا يرى إلا مساكنهم وكذلك جزاء القوم المجرمين، وأخبر ضيف إبراهيم وهم رسل ربنا من الملائكة أنهم أرسلوا إلى قوم مجرمين أي إلى قوم لوط، وكلف الله النبي الأمي ﷺ بالعجب من عاقبة المجرمين المعذبين في الدنيا بالمطر الحاصب،

واستكبر فرعون وقومه أن يؤمنوا بالآيات الخارقة للتخويف والقضاء مع موسى وهارون فكانوا قوما مجرمين، وكان استفتاح موسى طلبا للنصر: أن فرعون وملائه قوم مجرمون، ومن قبل أخبرهم بأن الله سيحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون.

وللمجرمين أوصاف وعلامات يعرفون بها فهم:

- ١- يكرهون الحق وأن يحق الله الحق بكلماته التامات.
- ٢- ويضللون الغاوين اللاهين في الغي عن الوحي.
- ٣- ويضحكون من الذين آمنوا ويصفونهم بالضلال.
- ٤- ويأكلون ليتمتعوا ثم يأكلون لتجديد المتاع.
- ٥- ولا يبصرون الهدى المنزل ولا يسمعون الوحي أي لا يفقهون الموعدة والذكرى.

٦- ويكذبون بجهنم، ويتبعون ما أترفوا فيه.

٧- ولا يؤمنون بالكتاب المنزل حتى يروا العذاب الأليم.

٨- وهم أعداء النبيين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا.

٩- ويستكبرون إذا تلّيت عليهم آيات الله.

١٠- وينكرون أن الله خلق كل شيء بقدر. وهم يوم القيامة من

يؤدّون الافتداء من العذاب بالأبناء والصاحبة والأخ والفصيلة ومن في

الأرض جميعاً. ولا يقع عليهم الوصف بالإجرام إلا بصدّهم عن سبيل الله

أي عن الرسول ورسالته.

المطلب الثالث: التطفيف

التطفيف لغة: قال ابن فارس: " (طف) الطاء والفاء يدل على قلة

الشيء. يقال: هذا شيء طفيف. ويقال: إناء طفان، أي ملآن.

والتطفيف: نقص المكيال والميزان. قال بعض أهل العلم: إنما سمي بذلك

لأن الذي ينقصه منه يكون طفيفاً"^{٧٥}. والتطفيف اصطلاحاً: قال الراغب:

"طفف الكيل: قلل نصيب المكيل له في إيفائه، واستيفائه ومن ثم يكون

التطفيف: تقليل نصيب المكيل له في الإيفاء والاستيفاء"^{٧٦}. ويستنبط مما

^{٧٥} معجم مقاييس اللغة ٣/٤٠٥ - أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين - تحقيق

عبد السلام محمد هارون - دار الفكر - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

^{٧٦} المفردات ٥٢١

جاء به القرآن الكريم أن التطفيف: هو الاستيفاء من الناس عند الكيل أو الوزن، والإنقاص والإخسار عند الكيل أو الوزن لهم. ويلحق بالوزن والكيل ما أشبههما من المقاييس والمعايير التي يتعامل بها الناس.

الفرق بين البخس والتطفيف:

البخس: نقص الشيء على الظلم قليلاً أو كثيراً. أما التطفيف: فهو النقص القليل أو النزر الذي لا يعتد به، وأيضاً فإن التطفيف يكون بالاستيفاء إذا كان المطفف آخذاً والنقصان إذا كان معطياً. أما البخس فقد جاء في التحرير والتنوير: "والبخس فسره أهل اللغة بالنقص ويظهر أنه أخص من النقص، فهو نقص بإخفاء، وأقرب الألفاظ إلى معناه الغبن. قال ابن العربي في الأحكام في سورة الأعراف: البخس في لسان العرب هو النقص بالتعيب والتزهيد، أو المخادعة عن القيمة، أو الاحتيال في التزويد في الكيل، أو النقصان منه، أي: عن غفلة صاحب الحق، وهذا هو المناسب في معنى الآية؛ لأن المراد النهي عن النقص من الحق عن غفلة من صاحبه، ولذلك نهي الشاهد أو المدين أو الدائن، وسيجيء في سورة الأعراف عند

قوله تعالى: ولا تبخسوا الناس أشياءهم^{٧٧}. ومن أضرار التطفيف أن يصاحبه يعرض نفسه للعقوبة الدنيوية والأخرية أما في الدنيا بالقحط والجذب وجور السلطان، ولعذاب الآخرة أشد تنكيلا. وهو دليل على شح النفس وتعلق القلب بالكسب الخبيث. كما أنه خائن لا يؤمن على شيء ويكون محتقرا في المجتمع. ومن أشد أضرار التطفيف أنه يتسبب في إفساد العلاقات بين أفراد المجتمع. ويكون المطفف قدوة سيئة.

المبحث السادس: الحرية- تعريفها- مفهومها- الحريات العامة

المطلب الأول: تعريف الحرية

جاء في لسان العرب أن كلمة "الحر من كل شيء: هي أعتقه وأحسنه وأصوبه، والشيء الحر: هو كل شيء فاخر، وفي الأفعال: هو الفعل الحسن. والأحرار من الناس: أختيارهم وأفاضلهم. والحرّة: هي الكريمة من النساء. وتطلق الحرية في اللغة: على الخلاص من العبودية، فيقال: هو حر، أي غير مسترق ولا مملوك. وتطلق على الخلوص من كل شيء دخيل، فيقال: فرس

^{٧٧} التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ١٠٤/٣
محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤ هـ ١٠٤/٣

حر، أي: عتيق الأصل ليس في نسبه هجنة، ويقال: أرض حرة أي: لا رمل فيها، ورمل حر أي: لا طين فيه.

وتأتي أيضاً بمعنى الشرف والطيب والجودة فيقال: هو حر، أي: كريم شريف طيب الأصل، ويقال: هو من حرية القوم أي: من أشرافهم، والحر من كل شيء أحسنه وأطيبه وأعتقه. ^{٧٨}.

نستخلص من هذا التعريف اللغوي أن الإنسان الحر هو: غير المملوك وغير المقيد بأي قيد مادي، وهو الخالص في إنسانيته لا تشوبها شائبة، وهو الكريم في خلقه الشريف في نسبه. وقد عرّف الحرية صاحب معجم الرائد فقال: "هي القدرة على التصرف بملء الإرادة والخيار" ^{٧٩}. والحرية: ضد العبودية. والحر: ضد العبد. وتحرير الرقبة: عتقها من الرق والعبودية.

فالحرية: هي الإباحة التي تمكن الإنسان من الفعل المعبر عن إرادته، في أي ميدان من ميادين الفعل، وبأي لون من ألوان التعبير. وفي المصطلح القرآني، الذي يقابل بين الحر والعبد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى﴾ البقرة: ١٧٨

^{٧٨} ١٨٢/٤

^{٧٩} ٥٠٨

ومن المأثورات الإسلامية كلمات الراشد الثاني عمر بن الخطاب التي يقول فيها: " متى استعبدتم الناس وقد ولدتم أمهاتهم أحراراً."

المطلب الثاني: المفهوم الإسلامي للحرية

نظر الإسلام إلى الحرية نظرة متميزة، وبخاصة إذا قمنا بعمل مقارنة بينها وبين نظرة الحضارة الغربية وبعض الحضارات الشرقية القديمة، ويتميز المفهوم الإسلامي للحرية في الآتي:

١- الحرية في النظرة الإسلامية ضرورة من الضرورات الإنسانية، وفريضة إلهية وتكليف شرعي واجب. وليست مجرد حق من الحقوق، يجوز

لصاحبه أن يتنازل عنه إن هو أراد.^{٨٠} فمقام الحرية يبلغ في الأهمية وسلم الأولويات، مقام الحياة التي هي نقطة البدء والمنتهى، وجماع علاقة الإنسان بوجوده الدنيوي. لقد اعتبر الإسلام الرق بمثابة الموت، واعتبر الحرية إحياء وحياة. فعنق الرقبة، أي تحرير العبد، هو إخراج له من الموت الحكمي إلى حكم الحياة. وهذا هو الذي جعل عتق الرقبة إحياءها كفارة للقتل الخطأ الذي أخرج به القاتل نفساً من إطار الأحياء إلى عداد الموتى، فكان عليه، كفارة عن ذلك، أن يعيد الحياة إلى الرقيق بالعتق والتحرير: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ﴾ النساء: ٩٢. وبعبارة الإمام النسفي: " فإنه أي القاتل لما أخرج نفساً مؤمنة من جملة الأحياء، لزمه أن يدخل نفساً مثلها في جملة الأحرار، لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها، من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات، إذ الرق أثر من آثار الكفر، والكفر موت حكماً " وفي الآية (١٢٢) من سورة الأنعام: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ الأنعام: ١٢٢.^{٨١}

^{٨٠} المفهوم الإسلامي للحرية، د. محمد عمارة، مجلة الأزهر ذو القعدة ١٤٣٣ هـ، أكتوبر ٢٠١٢ م الجزء "١١" السنة "٨٥".

^{٨١} النسفي (مدارج التنزيل وحقائق التأويل) ١/٣٤٨. دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٢- لم يكن موقف الإسلام من الحرية وعداؤه للعبودية مجرد موقف فكري نظري، وإنما تجسد على أرض الواقع تجربة إصلاحية ثورية شاملة غيرت المجتمع الذي ظهر فيه تغييراً جذرياً وذلك هو الذي يحسب للإسلام، ولا تحسب عليه الردة التي حدثت عندما استشرى الاسترقاق في فترات لاحقة من التاريخ.^{٨٢}

حتى لقد أصبح الاسترقاق في ظل هذه التشريعات عبئاً اقتصادياً يزهده فيه الراغبون في الثراء، وبالعكس مما كان يفعله الدول الأخرى، لقد وقف الإسلام من الاسترقاق عند أسرى الحرب المشروعة، ليباد لهم مع أسرى المسلمين، بل وشرع لهذه الحالات المحدودة العدد المن والفداء: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَخَتْهُمْ فَأَشْدُوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ محمد: ٤.

٣- النظرة الإسلامية للحرية قد ربطت قيمة الحرية بالإنسان مطلق الإنسان، وليس بالإنسان المسلم وحده، وإذا كان الدين والتدين هو أعلى وأول ما يميز الإنسان، فإن تقرير الإسلام لحرية الضمير في الاعتقاد الديني لشاهد على تقديس حرية الإنسان في كل الميادين، فهو حر حتى في أن

^{٨٢} المفهوم الإسلامي للحرية د. محمد عمارة، مجلة الأزهر ذو القعدة ١٤٣٣ هـ، أكتوبر ٢٠١٢ م الجزء "١١" السنة "٨٥".

يكفر، إذا كان الكفر هو خياره واختياره، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦، وقال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ هود: ٢٨. وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ٩٩. لقد أراد الله للناس الهدى والإيمان، لكنه سبحانه جعل لهم مع هذه الإرادة الإلهية الحرية والتخيير والتمكين، فكان انتصار الإسلام للحرية الإنسانية في كل الميادين.

٤- النظرة الإسلامية تحرر الإنسان من كل الطواغيت، فشهادة التوحيد لا إله إلا الله هي جوهر التدين بالإسلام، فإنها في مفهومه ثورة تحرير الإنسان من العبودية لكل الطواغيت، ومن كل الأغيار، فإفراد الله بالألوهية والعبودية هي جوهر تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، إنها العبودية للذات المنزهة عن المادة، ومن ثم فإنها هي المحققة لتحرير الإنسان من كل ألوان الطواغيت المادية التي تستلب منه الإرادة والحرية والاختيار.

٥- وللإسلام مذهبٌ متميزٌ في نطاق الحرية الإنسانية وآفاقها وحدودها، فالإنسان خليفة لله سبحانه في عمارة الوجود، ومن ثم فإن حرية

هي حرية الخليفة، وليست حرية سيد هذا الوجود. إنه سيد في هذا الوجود، وليس سيداً لهذا الوجود، وبعبارة الإمام محمد عبده: " فالإنسان عبد لله وحده، وسيد لكل شيء بعده".

٦- النظرة الإسلامية للحرية تقوم على: قيمة الحرية في الممارسة والتطبيق، وقد تمت تربية الجيل القرآني الفريد الذي صنعه الرسول ﷺ على عينه في دار الأرقم بن أبي الأرقم التي كانت أولى مؤسسات الصناعة الثقيلة التي أقامها الإسلام لإعادة صياغة هذا الإنسان. أي أن منهج الإسلام في الحرية والتحرير قد وضع التربية قبل السياسة، والأمة قبل الدولة؛ لأن الأصول لا بد أن تسبق الفروع^{٨٣}.^{٨٤}

المطلب الثالث: الحريات العامة

من الأحاديث التي تتناول الحريات العامة قول النبي ﷺ فيما رواه يزيد بن أبي سفيان، قال: قال أبو بكر رضي الله عنه، حين بعثني إلى الشام: يا يزيد، إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة، وذلك أكبر ما أخاف عليك، فإن رسول الله ﷺ، قال: " من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر

^{٨٣} المفهوم الإسلامي للحرية، د. محمد عمارة، مجلة الأزهر ذو القعدة ١٤٣٣ هـ الجزء "١١"

^{٨٤} صيد الفوائد مقال بعنوان الحرية في المفهوم الإسلامي حسام العيسوي إبراهيم. بتصرف.

عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم، ومن أعطى أحداً حمى الله فقد انتهك في حمى الله شيئاً بغير حقه، فعليه لعنة الله، أو قال: تبرأت منه ذمة الله عز وجل. " ٨٥

فعن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعمل رجلاً من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين. " ٨٦ فالحرية العامة فضاؤها واسع، وتشمل أموراً كثيرة، العمل السياسي، وحرية الرأي، وحق المعارضة، وإجارة المنفيين أو المطاردين من بلدانهم، وغيرها من الأمور التي تهم المسلمين في جميع شؤونهم فمن حق المسلم أن يمارس جميع الحريات دون عوائق. ٨٧

المطلب الرابع: الحرية السياسية

حتى لا تكون الحرية السياسية مجرد شعارات ودعايات لتحسين أصحاب السلطة صورتهم في نظر الجمهور، والعالمين العربي والغربي،

^{٨٥} أخرجه أحمد رقم (٢١)، وأخرجه الحاكم ١٠٤/٤. وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

^{٨٦} أخرجه الحاكم في المستدرک ١٠٤/٤ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

^{٨٧} البعد الإنساني في الرسالة الإسلامية. ٧٧ فما بعد بتصرف. عدنان سعد الدين.

وتضليل المراقبين، لا بدّ من ضوابط دستورية وقانونية منظمة لعمل السلطات، وأن تكون القيم الفاضلة سائدة في السياسة العامة.

قال ﷺ: "ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت، وهو غاشٌّ لرعيته إلا حَرَّمَ اللهُ عليه الجنة."^{٨٨}

ولا بدّ أن تأخذ التعاليم القرآنية، والتوجيهات النبوية طرقها للتنفيذ في إشاعة العدل وتفعيل مبدأ الشورى قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ الشورى: ٣٨. على أن يسود العدل الراعي والرعية، بالأدوات القانونية والنظامية الفاعلة. قال الله تعالى في سورة النساء ١٠٥: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ سورة النساء: ١٠٥.

المطلب الخامس: اللجوء السياسي

"في هذا المطلب أخصّ كلاماً طيباً جاء في كتاب اللجوء السياسي في الإسلام، لنأخذ فكرة عامة عن اللجوء السياسي وموقف الإسلام منه:

^{٨٨} أخرجه مسلم برقم (١٤٢).

فإن " من الثوابت التي أقرتها الشريعة الغراء، وبينت أحكامها من خلال عقد الأمان المنصوص عليه في القرآن والسنة والإجماع، حق الإنسان المضطهد في اللجوء إلى مكان ينعم فيه بالحرية والاستقرار. " ^{٨٩} قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوبة ٦ " وإذا كان اللجوء السياسي في القانون الدولي مصطلحاً جديداً، فإنه في الاصطلاح الفقهي الإسلامي قديم تحت مسمى آخر هو عقد الأمان الذي جاءت تعريفات الفقهاء عنه بصيغ أخرى كثيرة منها تعريف ابن عابدين اللاجئ السياسي الذي يشمله عقد الأمان: إنه اللاجئ السياسي من يدخل دار غيره بأمان مسلماً كان أم حربياً. " ٩٠ فالحرية مبدأ إسلامي حيث تأتي حرية التدين في مقدمة الحريات الفردية: لا يرغم أحد على ترك دينه. رية المناقشات الدينية قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْنَأ وَإِهْكُم وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤ - نهي عن تقليد الآباء دون علم أو دليل. فمهمة النبي ﷺ دعوة الناس دون إلزام. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ

^{٨٩} اللجوء السياسي في الإسلام. حسام سعد سباط ص ٨ بتصرف

^{٩٠} المرجع السابق ص ١٨

فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ -
أماكن العبادة للديانات الأخرى محترمة ومصونة.

لا ينبغي أن يكون الاختلاف في الدين سبباً أو باعثاً على الاقتتال
وشن الحروب. قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى
الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ المائدة: ٢ - التفاضل بين
الناس يكون بمقدار ما يقدم الإنسان للناس.^{٩٢}

المبحث السابع: الصلاح والإصلاح - معناهما - الفرق بينهما

المطلب الأول: تعريف الصلاح

^{٩١} حقوق الإنسان في الإسلام للدكتور عبد الواحد وافي ص ١٢٣ فما بعد بتصرف.

^{٩٢} من رواع حضارتنا د. مصطفى السباعي.

١- " الصَّلَاحُ لغة ضد الفساد وبابه دخل. ونقل الفراء صلح أيضا بالضم وهذا يصلح لك أي هو من بابتك والصلح بالكسر مصدر المصالحة والاسم الصلح يذكر ويؤنث وقد اصطلحا وتصالحا واصطلحا بتشديد الصاد والإصلاح ضد الإفساد والمصلحة واحدة المصلح والاستصلاح ضد الاستفساد" ٩٣.

٢- الصلاح اصطلاحاً: ولفظ «الإصلاح» لفظ قرآني له دلالات عظيمة. جاء الإصلاح في القرآن والسنة بصيغ متعددة تدل في مجملها على أن دين الله تبارك وتعالى يهدف إلى إصلاح الإنسان في الاعتقاد والسلوك والعبادات والمعاملات، واعتبر القرآن في عدة آيات منه أن الإصلاح مهمة الأنبياء عليهم السلام ووظيفتهم الأساسية. قال الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود: ٨٨. فالتوفيق ذكر في هذه الآية مقرون بإرادة الإصلاح ولما كان نبي الله شعيب عليه

٩٣ مختار الصحاح ١٧٨ - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرزي (المتوفى: ٦٦٦هـ) - تحقيق يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا- الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

السلام يحمل أداة الإصلاح حيث كان يسمى خطيب الأنبياء ويعتبر اليوم بمثابة الإعلام في هذا العصر الذي تتفوق فيه الحرب الإعلامية. بالإضافة إلى استمداد القوة من الله تعالى التي من لجأ إليها نصره وحماه. لهذا قال سيدنا شعيب ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ هود: ١٨٨. إنه أعلن استمداد قوته من الله تعالى، ورغم ذلك لا يختلف الأمر قديماً عنه في العصر الحديث؛ فقد حاول المفسدون اختطاف هذا الشعار العظيم، ومنهم فرعون؛ حيث اتهم موسى عليه السلام وهو من المصلحين للناس في عقائدهم، ومرشدهم إلى ربهم اتهمه فرعون بإظهار الفساد؛ وكان فرعون يشير إلى أنه يتبنى الإصلاح منهجاً ويخاف على الناس من الفساد؛ مع أنه من أكبر الطغاة والمفسدين، فقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ غافر: ٢٦. وكعادة المنافقين في كل زمان ومكان تشابحت قلوبهم فاتحدت مشاربهم، يظنون أنهم على خير، وأنهم حُمّة الإصلاح ورؤّاده؛ فقد ادّعى المنافقون قديماً أنهم مصلحون، كما ادّعاه إخوانهم في العصر الحديث. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ البقرة: ١١. والضابط الذي يميز بين المصلح حقيقة وبين مدّعي الإصلاح بالباطل هو رب العالمين؛ فهو وحده من يحدد المصلح والمفسد. قال الله

تعالى: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِحْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة: ٢٢٠، ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف: ٥٦. إن أعظم إصلاح جاء به القرآن العظيم هو شريعة الله المحكمة وفرائضه الشرعية العادلة التي جاء بها القرآن في الحدود والموارث، والأحكام، والتي تسعد المجتمعات وتهنأ إذا طبقتها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الأعراف: ٩٦، وفي المقابل تشقى المجتمعات عند تغييب الشرع المحكم أو إقصائه عن دنيا الناس وهذا يحدث خلافاً واضطراباً كبيراً يمحق البركة ويجلب الشقاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤكداً هذا المعنى: «يا معشر المهاجرين خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم، أعوذ بالله أن تدركوهن. وذكر منها: وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم»^{٩٤} نسأل الله أن يهدي الأمة إلى تحكيم كتاب ربهما لتعيش واقعاً مباركاً تحل فيه الأمن والبركات.

^{٩٤} أخرجه ابن ماجه في سننه برقم ٤٠١٩

٣- الفرق بين الصالح والمصلح: " قال الطبري: الصالح عامل الصلاح الذي يقوم به حاله في دنياه. وأما المصلح فهو فاعل الصلاح يقوم به أمر من الأمور. قيل: ولهذا لا يوصف سبحانه بأنه مصلح، ولا يوصف بأنه صالح.^{٩٥} قال ابن السكيت: صلح الشيء وصلح يصلح ويصلح وأنشد:

خُذْ حذراً يا خلتي فإنني رأيت جران العود قد كاد يصلح.

والمصدر صلاحاً وصلوحاً. وقد أصلحته. قال ابن دريد: ليست صلح بثبت. ورجل صالح في دينه ونفسه. وأنشد: "وهل بعد شتم الوالدين صلوح".

" وقال ابن الأعرابي: أصلحت الأمر - هيأته وأصلحت الدابة - أحسنت إليها. وقال صاحب العين: الصلح - السلم وقد تصلح القوم واصطلحوا وأصلحت بينهم وصالحتهم مصالحةً وصلاحاً. وأنشد:

يسومون الصلاح بذات كهف وما فيها لهم سلع وقار".

نتائج البحث

يعرض البحث الميزان الحقيقي للقوى والقيم، وأنهما جناحان لا يمكن الطيران والتحليق إلا بهما، وإلا بقي السقوط نحو القاع والهاوية مستمراً، ولا يمكن التحليق في عالم الإنسان والإنسانية مهما تقدم الإنسان في المادة

^{٩٥} معجم الفروق اللغوية ص ٣٠٨ لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ).

وفرضها بعيدة عن الأخلاق إن في السياسة أو الاقتصاد وفي جميع مناحي الحياة.

وقد قص الله تعالى قصة من يزن النجاح بالتسلط والتجبر والاستكبار والقهر والاستبداد، كيف تكون نسبة الدمار في المجتمع، تماماً كما فعل فرعون موسى قضى على مكامن القوة والعقول الشابة المبدعة عندما أعلن تقتيل الذكور واستبقاء الإناث خشية على ملكه وكرسيه، كما أنه مزق المجتمع حتى ساد مجتمع الكراهية عندما استعمل سياسة التفريق والتخابر لصالحه، مما أفقد الثقة بين الأخ وأخيه وجاره وقريبه، بل قضى على جميع العلاقات التجارية البينية بإعلانه استضعاف طائفة منتجة على حساب عصبته الذين من حولهم ممن يرسم له سياسة التقتيل والتفريق والملاحقة لكل خالفه.

كما رأينا في هذا البحث قصة الفساد الاقتصادي الذي فرضه قارون الذي اكتنز الأموال واحتكر التجارة عن طريق زمرة الفاسدين. ويطرح البحث الانتكاسة الاقتصادية والاجتماعية التي وصل إليها قوم مدين بسبب التلاعب في المكيال والميزان.

ويسقط البحث الفساد والاستبداد المعاصر بكل أشكاله، فيذكر أسبابه، ويعرض نماذج قصص الأمم السابقة، ويقارن بين التصرفات

والسياسات، وكيف أنها تخرج من مشكاة واحدة، مما يؤكد التوجيه القرآني في بيان الموازين الحقيقية للقوى والقيم، كي يحدّر الناس على مر العصور الوقوع في فكي المستفيدين والمتنفذين في كل عصر ومصر فيعملون على أخذ الحيلة والحدّر، فيعلجون واقعهم، بما ذكره القرآن الكريم فلا يمكن أن يكون المسلم في مأمن مالم يكون قوياً سياسياً واقتصادياً وأخلاقياً، ودور كل من فرعون وقارون وقوم مدين الفساد بكل أشكاله، وإذا أردنا أن نعدد المفاسد التي تنتج عن الجور والاستبداد في السياسة والاقتصاد في العالم الحر والواقع المعاصر، فهي لا تتجاوز ما ذكرته سورة القصص وهود، ومن المفيد أن نقف على تلخيص العلامة الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير للمفاسد في قصتي فرعون وقارون والتي نجملها بما يأتي:

المفسدة الأولى: التكبر والتجبر: فإنه مفسدة نفسية عظيمة تتولد منها مفسد جمّة من احتقار الناس، والاستخفاف بحقوقهم، وسوء معاشرتهم، وبث عداوته فيهم، وسوء ظنه بهم، وألا يرقب فيهم موجبات فضل سوى ما يرضي شهوته وغضبه.

المفسدة الثانية: أنه جعل أهل المملكة شيعاً وفرّقهم أقساماً، وجعل منهم شيعاً مقرّين منه، ويفهم منه أنه جعل بعضهم بضد ذلك، وذلك فساد في الأمة؛ لأنه يثير بينهما التحاسد والتباغض، ويجعل بعضها يتربص

الدوائر ببعض، فتكون الفرق المحظوظة عنده متطاولة على الفرق الأخرى، وتكدر الفرق الأخرى لتزحج المحظوظين عن حظوتهم بإلقاء النيمة والوشايات الكاذبة فيحلوا محل الآخرين.

المفسدة الثالثة: أنه يستضعف طائفة من أهل مملكته فيجعلها محقرة مهضومة الجانب لا مساواة بينها وبين فرق أخرى، ولا عدل في معاملتها بما يعامل به الفرق الأخرى.

المفسدة الرابعة: أنه يذبح أبناء بني إسرائيل:

أي يأمر بذبحهم، فإسناد الذبح إليه مجاز عقلي. والمراد بالأبناء: الذكور من الأطفال وقصده من ذلك ألا تكون لبني إسرائيل قوة من رجال قبيلتهم حتى يكون النفوذ في الأرض لقومه خاصة.

المفسدة الخامسة: أنه يستحيي النساء أي يستبقي حياة الإناث من الأطفال فأطلق عليهن اسم النساء باعتبار المال إيماء إلى أنه يستحييهن ليصرن نساء فتصلحن لما تصلح له النساء وهو أن يصرن بغايا؛ إذ ليس لهن أزواج، وإذا كان احتقارهن بصد قومه عن التزوج بهن فلم يبق لهن حظ من رجال القوم إلا قضاء الشهوة، وباعتبار هذا المقصد انقلب الاستحياء مفسدة بمنزلة تذييح الأبناء إذ كل ذلك اعتداء على الحق. قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ

كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» القصص: ٤^{٩٦}، وغيرها من المفاصد التي تعين على التربع على سلطة الحكم أكبر وقت ممكن. أما مفاصد الاستبداد الاقتصادي وعدم العدالة في توزيع الثروة وإحقاق الحق فإنه ينتج عنه المفاصد الكثيرة يمكن أن نجملها فيما يأتي:

١- الغلب الاقتصادي في أي بلد ما أشد وقعاً وأعظم أثراً في أهلها من الغلب الاستعماري.

٢- استعمال المال في غير طريقه، وصرفه في المتع الجسدية بالجمع منه على حساب الناس. بمعنى أكل أموال الناس بغير حق. وهذا يسمى البغي ويتحقق بالظلم وغصب الأراضي والأشياء وحرمان الحق لصاحبه.

٣- الاستحواذ على الأملاك والزهو بالأموال والأملاك والاعتزاز بالمال والتطاول بسلطانه على الناس فيفتنه المال ويعميه الثراء والتركيز مع قيمة المال على حساب الإيمان بالله واليوم الآخر.

٤- أئمة الكفر والضلال والبغي واعتزازهم بأموالهم التي اغتصبوها من العامة أعطتهم العظمة بل جنون العظمة مما جعلهم يبتزون الضعفاء والفقراء

^{٩٦} التحرير والتنوير ص ٦٦/٢٠ «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي - الدار التونسية للنشر - تونس ط ١٩٨٤هـ.

والدافع لهم تعاضمهم بالأموال والاعتداء على الأمة به والاستخفاف بحقوقها وأول ذلك، فرق شريعة الأمة والبغي والفساد في الأرض.

٥- من أهم مفاصد الاستبداد المالي جعل المال هدفاً والأمة وسيلة يكتسب عن طريقها المال أو الجاه أو زينة الحياة الدنيا. وبهذا يقوم المستبد بتضييع دعاة يقربهم إليه ويدفع لهم الأموال ويفتح لهم السبل من أجل أن يصل بهم إلى أن يجعلهم دعاة.

ولكن الحق لديهم حرفة ومهنة أو بمنزلة السلعة التي تباع وتشترى يعرضها للمساومة ويخرج بقيمتها عن أن تكون قيمة ذاتية منهم يقبلون عليها للاحتراف والمزايدة عليها، والذين يرفضونها لأنها لا تنطوي على غنم أو ربح مادي في نظرهم مثل ما تنطوي عليه أي سلعة أخرى من السلع.^{٩٧} وهدف علماء الدنيا والسلطان الاحتراف بالدعوة، وجعلها وسيلة للتعيش، أو للجاه في الحياة، لأن الاحتراف يمثل تلك الدعوة ينبئ عن البعد عن الإيمان بها ويعبر في الوقت نفسه عن النفاق في الموقف إزاءها، فدعوة هؤلاء للتكسب والتعيش، وهو أشد المفاصد وأضرها على الأمة، لأن هؤلاء يلبسون مسوح الدين والإيمان ومظاهر العلم والعلماء، فهم استغلاليون ماديون فاسدون مفسدون، وصاحب الاتجاه المادي: هو الذي

^{٩٧} الدين والدولة ص ٤٦٤ - ٤٦٥ لمحمد البهي - مكتبة وهبة بتصرف.

يقع كلياً تحت تأثير هذه الحياة من مال وأولاد وجاه. وهو الذي لا يغيره ولا يجد به في هذه الحياة إلا جانباً محسوساً من جوانبها المشاهدة، ولا يحفل بقيم ولا بمبادئ إنسانية، ولا بعلاقات طيبة مع الآخرين معه في مجتمعه وأتمته إلا بقدر ما يدر عليه انتسابه لهذه القيم والمبادئ من مكاسب شخصية تلبية لشهوات نفسه وأنانيته، لذلك نعى القرآن الكريم أمثال هؤلاء بقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ دِكْرِنَا وَمَا يُرِدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّٰ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ﴾ النجم: ٢٩ - ٣٠. ولهذا القرآن الكريم يطلب من الرسول ﷺ أن ينأى بدعوته عن صاحب الاتجاه المادي. قال الله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا هَوْاٍ وَعَزَّهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الأنعام ٧٠

أما الفساد الاجتماعي كما في سورة هود:

فتلخص لنا قصة عودة أصحاب مدين في العصر الحديث، في أن العالم اليوم ألد بصورة حديثة فيها من الدقة المتناهية بمقدار التقدم الذي أحدثته الثورة الصناعية، وفيها من المكر والدهاء ما يفوق الوصف. بحيث سخرت أبناء الإسلام لحرب الإسلام وبأموال ومقدرات المسلمين عن طريق

جلب القوميات البغيضة التي التصقت بالعرب والمسلمين زوراً وبهتاناً. فالعرب الذين أولوا الآيات التي تتحدث عن عربية القرآن والأمة التي نزلت فيهم الآيات في المرحلة التي عاشوا فيها، جعلوا هذا وصفاً وقيمةً لكل من جنسيته عربي وهم يعتزون (بمن أخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد) على أنه كنز وتراث ساد وقاد وانتهى دوره، ليبقى في المتحف محنطاً يقبضون من السياح قيمة ما يرون، ويقرؤون عن الفتح المبين، والأخلاق الحميدة في السلم والحرب، والحضارة والمجد. وهكذا فيؤولون عربية القرآن بعروبتة، ويعنون بذلك الجنس فقط. بمعنى لا يعتبرون لسان القرآن وأحكامه ومنهجه وتشريعاته وعقيدته، وبذلك يلبسون على الناس فيأخذون نجاح الإسلام ورحمته اسماً، ويكفرون به منهاجاً ورسمًا، ويوالون أعداء الرسالات السماوية وبهذا يكونون قد دمروا الإسلام وأهله.

- وهكذا عاد قوم مدين من جديد فقد أفسدوا الحياة السياسية والمالية، بل أفسدوا الإنسانية. لكن يبقى الفرق بين قوم مدين في القديم ومدين اليوم أن مدين الذين ذكرهم القرآن يجاربون الإنسانية علناً جهاراً نهاراً. في حين إن مدين اليوم يستعملون عدة أدوات للتمويه ليظهروا للعالم أنهم دعاة حضارة وبناء وإنسانية. ليلقوا اللوم على العرب والمسلمين في أنهم

متخلفون لا يساقون إلا بالعصا التي هي أداة من أدوات سوق العبيد عملاً
بقول القائل:

لا تشتري العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

فقد اعتبروا العرب والمسلمين عبيداً، والذي مكّن لهم وجعلهم يتربعون
على عروش الظلم والطغيان هم العرب أنفسهم من الذين انسلخوا من
لسان القرآن وبقي لهم عروبة أبي جهل وأبي لهب وابن سلول.

- وهكذا توحدت قوى الشر تحت راية من بيدهم المال أصحاب
العجل أي اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾
البقرة: ٩٣ والذين يعتبرون أنفسهم أنهم شعب الله المختار بعد أن تمكنوا
من الاستيلاء على القوة العلمية والمالية والعقلية. وسلاحهم المكر والتحايل
وتسخير مرضى النفوس. وصدق الله قال فيهم ﴿لَا يُفَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي
فُرَى مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ
شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحشر: ١٤. ولعل الحصون اليوم هي
حصون الانترنت والاعلام، وأبواقهم من منافقين ومستشرقين ومستغربين
فصارت لهم الهيمنة على العالم. وكل ذلك بأيدي أعدائهم وأصدقائهم عندما

كان المال والعقول التي اشتروها بقبضتهم، وأيضاً بعد أن تنازل أكثر العرب
والمسلمين عن مبادئهم وصاروا يستحون من إسلامهم ويشوهون حضارتهم.
— منبع الشرور والفساد الحقيقي إنما هو ألوهية الناس على الناس فهي
أصل كل المصائب والدمار وليس لهذا الداء إلا الإيمان بالله العزيز الحميد.
- لا يمكن تحقيق العدالة الاجتماعية إلا بالقوة السياسية ﴿الَّذِينَ إِنْ
مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ
الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ الحج ٤١
والحمد لله رب العالمين.

المحتوى

المصادر والمراجع

- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

- إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب
بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق محمد
عبد السلام إبراهيم- دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة:
الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- الدين والدولة من توجيه القرآن د. محمد البهي بتصريف -
مكتبة وهبة-القاهرة.

- (القاموس المحيط) لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب
الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) - تحقيق مكتب تحقيق التراث في
مؤسسة الرسالة- مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت
- لبنان- الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- الترف للمؤلف ناصر بن عمار.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول
الله ﷺ - المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري
(المتوفى: ٢٦١هـ) - المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر: دار
إحياء التراث العربي - بيروت.

- صباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه- المؤلف: أبو العباس
شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايمار بن

عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ) - المحقق:
محمد المنتقى الكشناوي- الناشر: دار العربية - بيروت - الطبعة:
الثانية، ١٤٠٣ هـ.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ
وسننه وأيامه صحيح البخاري- المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد
الله البخاري الجعفي - المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر - الناشر:
دار طوق النجاة - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد
من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر
بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) - الدار التونسية للنشر -
تونس - سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

- معجم اللغة العربية المعاصرة للمؤلف د. أحمد مختار عبد
الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) - عالم الكتب - الطبعة: الأولى،
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

- معجم مقاييس اللغة - لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني
الرازي، أبو الحسين - تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار
الفكر - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- المفردات في غريب القرآن- المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) - المحقق: صفوان عدنان الداودي- دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١ / ١١٥٢ لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين - بيروت- الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- المفهوم الإسلامي للحرية- د. محمد عمارة، مجلة الأزهر ذو القعدة ١٤٣٣ هـ، أكتوبر ٢٠١٢م الجزء "١١" السنة "٨٥".

- الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهراّن العسكري تحقيق الشيخ بيت الله بيّات، ومؤسسة النشر الإسلامي. - المال وطرق استثماره في الإسلام د. شوقي عبده الساهي.

- القليوبي (حاشية منهاج الطالبين) دار إحياء الكتب العربية.

- رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ) - دار الفكر- بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

- القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) دار الكتاب العربي - القاهرة -
طبعة ١٩٨٧.

- النووي (تحرير ألفاظ التنبيه) تحقيق: عبد الغني الدقر م دار
القلم، دمشق، ١٤٠٨ هـ.

- (أدب الدنيا والدين) لأبي الحسن الماوردي تحقيق مصطفى
السقا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ هـ.

- (الذريعة إلى مكارم الشريعة) للراغب الأصفهاني - مكتبة
الكليات الأزهرية - القاهرة - ١٣٩٣ هـ.

- كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم
الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠ هـ) - تحقيق د. مهدي المخزومي، د
إبراهيم السامرائي - دار ومكتبة الهلال.

- (الغريب والمعجم ولغة الفقه) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن
فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ) تحقيق
عبد السلام محمد هارون - دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) - عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- منهجية البحث في الاقتصاد الإسلامي كمال توفيق، بحث مقدم إلى مجلة جامعة الملك عبد العزيز- مجلد ١٦- العدد ٢- ٢٠٠٣.
- منهاج الباحثين في الاقتصاد الإسلامي لحمد بن عبد الرحمن جنيدل - شركة العبيكان، الرياض، ١٤٠٦هـ.
- الاقتصاد الإسلامي دراسة وتطبيق إبراهيم فاضل الدبو - طبعة ١- دار المناهج-الأردن-٢٠٠٨.
- الاقتصاد الإسلامي لمحمود سحنون-الوقائع والأفكار الاقتصادية- طبعة ١- دار الفجر-القاهرة-٢٠٠٦.
- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي - شرح حدود ابن عرفة -

- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو
الفضل العسقلاني الشافعي - دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

- جاهلية القرن العشرين. محمد قطب. دار الشروق بيروت طبعة
١٩٧٤

- دراسات في الفكر الإسلامي الدكتور عدنان محمد زرزور مكتبة
الفلاح الطبعة الأولى ١٩٨٩.

- حول تطبيق الشريعة الإسلامية - محمد قطب - مكتبة السنة -
الطبعة الثانية ١٤١١

- البعد الإنساني في الرسالة الإسلامية. عدنان سعد الدين - دار
المنار للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ٢٠٠٤.

المحتويات

مقدمة ٢

خطة البحث خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

الباب الأول-الفصل الأول: (مصطلحات) وفيه مباحث خطأ!
الإشارة المرجعية غير معرّفة.

المبحث الأول: مصطلحات وتعريفات ومفاهيم ١١

المبحث الثاني: الإسلام والسياسة خطأ! الإشارة المرجعية غير
معرّفة.

١- ملخص النظرية: خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

المبحث الخامس: الفساد السياسي في ضوء سورة القصص خطأ!
الإشارة المرجعية غير معرّفة.

التصور القرآني للملأ الفاسد: ٤٢

المبحث الثاني: مصطلحات القصة خطأ! الإشارة المرجعية غير
معرّفة.

المبحث الثالث: الملأ المؤمن ٥٨

المبحث الأول: (مصطلحات ومفاهيم) ٧١

المبحث الثاني: الفساد المالي ٨٦

أثر الفساد على الفرد والمجتمع: ٩٣

المبحث الثالث: الفساد المالي في ضوء سورة القصص ٩٦

المبحث الرابع: الأنانية في قوم مدين القديم والحديث ١٠٥

الفساد الاجتماعي خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة.

المبحث الخامس: الأنانية (تعريفها-أصنافها-مظاهرها-آثارها-أضرارها)

..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة.

المبحث السادس: أدوات تصيب الإنسانية بمقتل خطأ! الإشارة

المرجعية غير معروفة.

الأداة الأولى: تقديس الطاغوت: خطأ! الإشارة المرجعية غير

معروفة.

الأداة الثانية: استغلال المال: ١٢٤

الأداة الثالثة: العبث بالمجتمع: ١٢٩

المبحث الأول: مصطلحات ومفاهيم في قصة قوم مدين. خطأ!

الإشارة المرجعية غير معروفة.

المبحث الثاني: الحرية- تعريفها-مفهومها- الحريات العامة ١٤٠

المبحث الثالث: الصلاح والإصلاح- معناهما-الفرق بينهما

..... ١٥٠

نتائج البحث ١٥٤

المصادر والمراجع ١٦٤

